اقرأ

أحمد مصطفى

مهاجر إلى أمريكا

اقرأ

تصدر أول كل شهر

[٤٤٧] - يوليو - ١٩٧٩

رئيس التحرير أنيس منصور

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف :- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م : ع .

أحمد مصطفى

مهاجر إلى أمريكا



فهرس

مقدمة

بقلم : الأستاذ أحمد أبو الفتح

لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية تمثل بالنسبة لملايين الناس الأمل فى أن يصبح الإنسان مليونيراً ، هذا الحلم الذى راود المغامرين منذ قرون هو الذى دفع المغامرين إلى الهجرة إليها . . .

ظهر الذهب فى كاليفورنيا . . واشتدت الهجرة إلى هذه الولاية فى غرب أمريكا . .

حلم الذهاب إلى الولايات المتحدة راود الملايين ولا يزال يراود الملايين من أنحاء كثيرة من العالم للبحث عن الثراء . .

هناك من يطلب الهجرة وينتظر موافقة الحكومة الأمريكية عليها . . وهناك من يدخل على تأشيرة سياحية أو لزيارة الأهل هناك . . وهناك من يغامر بالتسلل إلى أرض الذهب والمليونيرات . . .

لم يكن الأستاذ أحمد مصطفى يحلم بالذهب . . ولم يكن يطمع فى أن يصبح مليونيراً . . كل ماسيطر عليه هو أن يبتعد عن مصر حيث يدمى قلبه حزنا على ما حل بوطنه . . .

إنه لم يكره مصر . . ولكنه يريد الفرار منها لأنه كان يشعر بالغربة على أرض وطنه . . .

استطاع بعد متاعب وصعاب أن يخرج من مصر . . سافر إلى إيطاليا . . ومنها إلى نيويورك ومنذ وطئت قدمه أرض الولايات المتحدة بدأت مغامراته . . .

البحث عن عمل . . .

استحالة الحصول على إقامة . . .

استحالة العمل دون إذن إقامة . . ثم إذن عمل . . . كل شيء صعب فى بلد الثراء . . .

الحصول على الدولار مهمة شاقة . . ولكن كان لابد أن يعمل . . وأن يقيم . . وأن يعيش دون إقامة ودون إذن . . والبوليس الأمريكى لا يرحم . . مهما تكن العقبات

الجوع . . والهرب من البوليس الأمريكى . . والحبس فى غرفة تبريد . ومهاجمة اللصوص له ليلا . . كل هذا يهون . . .

كتاب «مهاجر إلى أمريكا» سجل الأستاذ أحمد مصطفى على صفحاته مغامراته فى أمريكا . . سجلها بكل أمانة وبكل دقة وهى مميزاته منذ أن عمل بالصحافة فى فجر شبابه . . .

الكتاب ليس مجرد تسلية مع أنه مسلٍ جداً . . ولكنه أيضاً دروس لمن يتطلع إلى أرض الذهب والمليونيرات . . .

الأستاذ أحمد مصطفى زميل وصديق عزيز.. وكل إشادة بما حواه هذا الكتاب من جانبي قد يفسرها البعض بأنها من وحى الزمالة والصداقة..

ولما كنت واثقاً من أن كل قارئ سيجد فى قراءة هذا الكتاب متعة كبرى فإنى اترك للقراء الحكم على الكتاب..

قبل أن تقرأ هذه الصفحات

الحياة فى أمريكا غريبة وعجيبة ومروعة . . إن كل ما سمعته أو تسمعه عن الحياة هناك لابد أن تصدقه . . لقد عشت هناك أعواماً طويلة رأيت فيها العجب . . وشاهدت فيها ألواناً كثيرة من تصرفات الناس التى تؤكد أنك تعيش فى عالم كله خليط غريب يجمع بين العقلاء والحكماء والفلاسفة . . والمجانين والعتهاء والمجرمين واللصوص . .

الناس تمشى على أرصفة الطرقات بسرعة وكأنها ثعابين أو ديدان تزحف على الأرض .

لا يوجد عند واحد من الناس الذين تقابلهم أو تصادفهم فى الطريق دقيقة من الوقت ليرد على التحية أو يجيب على سؤال أو يعتذر لك عن خطأ . . أو حتى يشتمك إذا دست على قدمه أو ضربته بالكتف . ! !

المحامون ورجال الأعمال يستقبلونك فى مكاتبهم وكل منهم ينظر فى ساعته طوال جلوسك يستعجل الوقت ويهز رأسه باستمرار وأنت تتحدث إليه وكأنه يطردك من مكتبه أو ليحثك على مغادرة المكتب ! !

التجار وأصحاب المحال يستغلون بعض الناس للعمل فى محالهم دون علم الحكومة حتى لا يدفعوا عنهم تأمينات للدولة . . ثم فى النهاية يطردونهم من العمل . . ! !

أصحاب الأندية والملاهى الليلية يرحبون بتشغيل اللاجئين من أبناء الدول المختلفة فى محالهم . . وفى النهاية يهددونهم باستدعاء رجال الشرطة لهم لطردهم خارج الولايات المتحدة . . !

عساكر البوليس يدخلون المحال التجارية بحجة الشراء . . فى حين أنهم فى الواقع يأخذون كل ما يلزمهم مجاناً دون دفع أى سنت . . !

اللصوص يهاجمون البنوك والمتاجر فى الليل وفى وضح النهار ويسرقون الأموال من الخزائن دون أن يستطيع أى فرد التعرض لهم . . ! !

عصابات « المافيا » تهدد أصحاب الملايين وتسلب أموالهم وتجبر بعض المسئولين على عدم التحرك ضدهم وإلا كان مصيرهم القتل . . والاغتيال . . والفناء . .

من السهل أن تسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية — بقصد الزيارة — وتعيش فى أى ولاية تريدها عدة أعوام وتشتغل فى أى محل يقبل أن تعمل فيه تحت سمع وبصر رجال البوليس . . ولكن بعيداً عن قبضة أيديهم . غير أن الثمن سيكون غالياً فى النهاية . . . !

تستطيع وأنت تعيش فى أمريكا أن تكسب ملايين الدولارات وتضعها فى البنوك على شرط أن تقدم أى شهادة ولو مزوّرة بأنك قد ورثت هذا المبلغ أو

اكتسبته عن طريق التجارة لتقديمها إلى الضرائب . . !

ومن السهل جداً أن تتزوج لتضمن لك زوجتك الإقامة الدائمة فى أمريكا . . ولكن من الصعب جداً أن تفترق عنها لأن الثمن سيكون فادحاً . . !

كل هذا يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والمهاجرون المصريون يقفون أمام العمارات الضخمة . . والبنوك . . والمؤسسات . . والشركات لحراسة المبانى . . !

إن اللصوص فى أمريكا لا يصعب عليهم شىء . . من الممكن أن يدخل عليك « اللصوص » ويسرقوا أموالك ثم يضعوك بعد ذلك فى « ثلاجة » ويغلقوا بابها عليك حتى يأمنوا الهرب بسهولة . .

وهذا ما فعله اللصوص معى . . !

وبعد : هذه هى الحياة فى أمريكا إذا أردت أن تعيش هناك . !

إننى أقدم إليك فى هذا الكتاب تجاربى ومشاهداتى التى عشتها فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال السنوات التى أقمتها هناك بعد هربى من مصر بعد هزيمة حرب عام ١٩٦٧ ودخولى مدينة نيويورك بتأشيرة لمدة شهرين فقط . . امتدت إلى سنوات دون علم رجال المباحث الفيدرالية « المباحث الجنائية » . . . ودون علم مباحث إدارة الجوازات والجنسية فى نيويورك . . .

عظمة على عظمة . . !

عندما تهبط بك الطائرة أرض مطار «كنيدى» فى مدينة نيويورك سوف تأخذك الدهشة وتقف مذهولا وتشعر أنك قد هبطت فى بلد الخيال والجمال والعظمة . . أو فى مدينة العجائب والغرائب والخرافات . . !

إن مطار كنيدى يقع على أرض مساحتها تعادل تقريباً مساحة مدينة مصر الجديدة . . !

نعم : إن المطار شىء مذهل إذا عرفت أن كل شركة طيران فى العالم لها مطار خاص ومستقل لطائراتها تهبط فيه . . ولكل مطار من هذه المطارات دائرة جمركية وفيه كل المرافق والإدارات والأجهزة الموجودة فى أى مطار دولى وعالمى فى أى بلد من بلاد العالم . . !

إن كل هذه المطارات متلاصقة وتتجمع كلها فى مكان واحد يطلقون عليه اسم

« مطار كنيدى الدولى » .

إنك عندما تخرج من أرض المطار إلى الفناء الخارجى سوف تندهش مرة أخرى وتقف مبهوراً . . هناك شيء عجيب سوف يلفت نظرك ويشد انتباهك ويجعلك مذهولا . .

هذا الشيء هو : شبكة الطرق والمواصلات الرهيبة التى تحيط بالمطار . . والمؤدية إليه والمتفرعة منه . . !

آلاف من السيارات تمشى فى هذه الطرق وهى تكاد تشق الأرض من السرعة فى طريقها إلى المطار . . أو خارجة منه إلى المدينة . .

إن الشيء الذى سوف يدهشك أيضا هو الآلاف من اللافتات الضخمة التى ترتفع فى عرض الطرقات كل عدة أمتار ترشد كل سائق سيارة إلى الطريق الذى يريد أن يتجه إليه . . أو إلى مطار الشركة التى سوف يسافر على طائرتها . . !

وعندما تخرج بعيداً عن دائرة المطار سوف يلفت نظرك طوال الطريق وجود آلاف من السيارات المختلفة الأشكال والأحجام تقف كلها على جانب من هذه الطرقات بجوار العمارات السكنية بالمدينة . . .

إذا كنت مهاجراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية – وهذه بالطبع أول مرة تشاهد فيها إحدى المدن الأمريكية – فسوف تحلم وأنت فى الطريق بأنك ستعيش حياة الرفاهية والنعيم مثل هؤلاء الناس الذين تراهم يقودون سياراتهم الفاخرة فى الطريق . .

وسوف يسرح بك الخيال أيضاً إلى أنك ستكون مليونيراً تمتلك ملايين الدولارات . . أو المبانى والعقارات . . أو على الأقل سوف تعيش منذ أول يوم فى أمريكا سعيداً مرفهاً لا يعرف الشقاء أو التعب طريقه إليك . .

هذه الأحلام وغيرها سوف تراودك قطعا وأنت فى الطريق إلى « الفندق الصغير» أو المنزل الذى ستعيش فيه مع أحد أقاربك . . أو بيت من بيوت الشباب . .

ولكن : كل هذه الأحلام والآمال . . والتمنيات سوف تتبخر وتذهب أدراج الرياح عندما تفيق على الواقع . . وتصحو على الحقيقة الصعبة أو المرة بعد أيام قليلة جداً من وصولك إلى المدينة التى نزلت فيها . .

سوف تكتشف بعد يومين أو أكثر أن الدولارات التى كنت تحملها معك قد تبخرت أو قاربت على الانتهاء . . وأنت أيضاً اقتربت من الإفلاس وليس أمامك إلا أن تعيش على الواقع الذى حضرت من أجله وهو :

قبل أن أدخل معك فى كيفية البحث عن عمل أو ما هى الوسيلة التى عن طريقها تجد الطريق إلى عمل . أحب أن أقول لك شيئاً يجب أن تعرفه جيداً . . أو من الواجب أن أصارحك به . . ولا أبالغ إذا قلت لك إنه الواقع الذى سوف يحدث ولا بد أن تتوقعه وهو :

إن اخاك . . أو قريبك . . أو صديقك العزيز الذى سوف تنزل فى ضيافته لن يتحملك « ضيفاً عليه » أكثر من أيام معدودة وبعدها عليك أن ترحل — أو تبحث لك عن سكن آخر . وإلا فإنه سوف يصارحك بذلك . . أو يقول لك : إنه من الواجب أن تدفع له نصف الإيجار . . وغيره من المصروفات الأخرى .

وإذا كان كريماً . . أو خجولا . . أو لديه بقية من صداقة أو قرابة فإنك سوف تراه على غير طبيعته الأولى التى استقبلك بها يوم وصولك . . يعنى مثلا :

يكشر فى وجهك . . أو يكون عصبياً فى تصرفاته . . أو يجلس صامتاً لا يتكلم . . أو لا يرد على أسئلتك أو حديثك . . أو يقول لك عند سؤالك عن

شيء : (مش عارف) . . ! أو يقول لك أيضاً : إنه متعب من كثرة العمل ويريد أن يستريح أو ينام . . وكل هذا من أجل أن يشعرك أنك أصبحت « ضيفاً ثقيلاً » وغير مرغوب فى بقائك عنده أكثر من ذلك . .

إن الواجب يقتضى أن أقول لك أيضاً إنه معذور . . لأن الحياة فى الولايات المتحدة الأمريكية تختلف تماماً عن الحياة فى مصر . فالوقت هناك ثمين . . وكل دقيقة تمر لها ثمنها ولها قيمتها والعمل هناك له قدسيته . . ومن لا يعمل . . لا يعيش . . !

البحث عن عمل . .

العمل فى أى مدينة بأى ولاية أمريكية متوفر . . ولا تصدق من يقول لك إن فرص العمل هناك قليلة أو معدومة . . أو غير متوفرة . . إن العمل يتوقف عليك أنت . وعلى مدى استعدادك لتقبل نوعية العمل الذى تجده . أو يعرض عليك . . وفى مقدمة كل ذلك يتوقف أيضا على مدى استعدادك وإجادتك للغة الإنجليزية .

وتسألنى ما هى الأعمال التى يمكن لأى «مهاجر» أن يشغلها . . أو يلتحق بها . . وهل هى تستلزم مواصفات خاصة يجب توافرها فى أى شخص . .

وأجيبك فأقول : إن الأعمال هناك متوفرة جداً . . وهى ترجع إلى مدى استعدادك أنت للإقبال عليها . . أو تقبلها . .

وتسألنى أيضاً : ما هى نوعية هذه الأعمال التى تتطلب الاستعداد النفسى لتقبلها أو الإقبال عليها . . ؟

وأجيبك : إن نسبة كبيرة جداً من المهاجرين الذين يذهبون إلى الولايات

المتحدة الأمريكية – قد تبلغ مثلا حوالى ٩٠ فى المائة منهم – لا بد لهم أن يعملوا فى بداية حياتهم هناك فى أعمال كثيرة ومختلفة لا تحتاج إلى خبرة كبيرة . . أو إلى خبرة أمريكية . . وهذا هو الأهم أو المهم .

عندما تذهب إلى أى مكتب عمل فى أى ولاية أو مدينة أمريكية للبحث عن عمل فإن أول سؤال سوف يقابلك هو : هل لديك خبرة أمريكية فى هذا العمل . . . ؟

وقد يكون العمل الذى تتقدم إليه هو وظيفة «جرسون» مثلا . . . أو Guard أى خفير حراسة . . . وتتعجب وتستغرب للسؤال وتسأل نفسك :

هل مثل هذه الأعمال الصغيرة أو التافهة تحتاج إلى «خبرة» . . . وخبرة أمريكية بالذات . . . ؟

والجواب هو : نعم . . . إن أى عمل فى الولايات المتحدة الأمريكية مهما صغر شأنه يحتاج إلى خبرة . . فصاحب أى عمل ليس لديه الوقت . . بل ليس مستعداً أبداً لتقبل أى إنسان وتعيينه فى أى عمل لديه مالم يكن متمرساً ومتفهماً تماماً لهذا العمل . . ولهذا فإن كل المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية – من جميع جنسيات العالم – يقبلون على الأعمال الصغيرة التى لا تحتاج إلى خبرة كبيرة . .

ومن جهة أخرى فإن مثل هذه الأعمال الصغيرة لا تحتاج أيضا إلى لغة . . بمعنى أنها لا تحتاج من شاغلها إلى معرفة أو إجادة اللغة الإنجليزية .

وهذه الأعمال كما سبق أن ذكرت لك هى :

خفير حراسة فى أحد البنوك . . أو الشركات . . أو المؤسسات . . أو الأماكن الخالية مثلا :

ثم وظيفة : غسيل الأطباق فى المطاعم . .

أو تنظيف أرضية المكاتب فى البنوك والمؤسسات . . وهذا العمل بالذات لا يقبل عليه إلا فئة أو طبقة معينة من المهاجرين وهم غالبا من أبناء « بورتوريكو » وهى مستعمرة إسبانية فى إحدى بلاد أمريكا اللاتينية . .

خفير حراسة . . أولا

والآن أقول لك كيف تبحث عن عمل ؟ أو ما هى الوسيلة أو الطريقة التى تتبعها ليكون لك عمل .

إذا كنت تعرف اللغة الإنجليزية جيداً . . أو قليلا فعليك أن تشترى إحدى الصحف الأمريكية الصباحية . . وخاصة يومى « السبت والأحد » اللذين ينتشر فيهما الإعلانات عن الوظائف الخالية . . ومكاتب العمل المتخصصة التى عليك أن تذهب إليها وعلى العنوان المذكور فى الإعلان . .

وعندما تذهب إلى مكتب العمل – وهو تابع لإحدى الشركات وليس حكومياً – فإن الموظف المختص فى هذا المكتب سوف يسألك وهو يقدم إليك « استمارة » التعيين لتملأ الخانات الموجودة بها والتى تتعلق بكل شىء فى حياتك . .

هل لديك خبرة سابقة فى هذا العمل . . ؟

وسوف تجيبه كما قال لك أصدقاؤك . . أو يجب أن تجيبه بكلمة « نعم » . .

وبعد أن تملأ « الاستمارة » التى سلمها لك سوف يطلب منك دخول غرفة من الغرف الموجودة بالمكتب ويعهد بك إلى موظف موجود بداخلها وهو الذى سيتولى تسليمك « البدلة » المناسبة لجسمك . . وهذه البدلة تشبه إلى حد كبير بدلة

عسكرى البوليس الأمريكى مع اختلاف بسيط . وهو أن هذه البدلة موجود على صدرها . وعلى الذراعين قطعة قماش مكتوب عليها كلمة « Guard » يعنى خفير . . !

ومع البدلة سوف تتسلم أيضا «كاب » لتضعه على رأسك . . وعصا غليظة تمسكها فى يدك . أو لتضعها فى مكانها المخصص لها فى جانب من البنطلون . . ! !

بعد أن تنتهى من عملية « مقاس البدلة » سوف يسلمك موظف المكتب ورقة وعليها عنوان العمل أو الشركة . . أو المؤسسة . . أو البنك . . الذى سوف تقوم بالحراسة فيه . .

وبالمناسبة أقول لك : إن مكاتب العمل أو تشغيل الموظفين فى الولايات المتحدة الأمريكية «متخصصة » بمعنى أن هناك مكاتب خاصة بالبنوك . . وأخرى للملاهى . . وثالثة لمحطات الكهرباء . . ورابعة للمساكن . . وخامسة لمحطات البنزين . . وهكذا . . .

المهم : أنه بعد خروجك من مكتب العمل – حاملا فى يدك شنطة ورق فيها البدلة والعصا وهى الزى الرسمى لوظيفتك الجديدة – سوف تذهب إلى بيتك لتستريح وقد هدأت نفسك لأنك عثرت على عمل . . وفى اليوم التالى عليك أن تذهب إلى عملك الجديد قبل الموعد بساعة أو أكثر لتسلم نفسك إلى الموظف، المسئول هناك بحيث يقوم بكتابة اسمك فى دفتر الحضور ثم يرشدك بعد ذلك إلى طريقة العمل الجديد وكيف تمارسه . . ثم يطوف معك فى بعض الأماكن التابعة لمقر عملك داخل المبنى الذى ستقوم بحراسته ليشير إليك إلى «ساعات الوقت » التى يجب أن تمر عليها «كل ساعة » لتضع فى كل منها مفتاحا سوف تحمله معك . ثم تديره لتسجل الوقت والغرض من ذلك هو إثبات وجودك ويقظتك واستمرار

حركتك ودورانك داخل المبنى . . . يعنى أنك رجل يقظ . . وإذا حدث ولم تسجل الوقت فى أى ساعة من هذه الساعات فإنك أولا سوف تحاسب وتسأل عن أسباب ذلك . . ثم إذا بقيت فى العمل فإن الوقت الذى لم تسجل فيه وجودك فى الساعة سوف يخصم من أجرك . . أما إذا تبين أنك إنسان مهمل ومقصر فى العمل فإنك سوف تفصل .

المرتب كل أسبوع

بقى أن تعرف ما هو الأجر الذى يتقاضاه «خفير الحراسة» . ؟

المرتبات فى الولايات المتحدة الأمريكية تصرف كل أسبوع . . أو أسبوعين وليس كل شهر كما هو الحال فى مصر وغيرها من الدول الأخرى .

إن أقل مرتب يتقاضاه أى عامل فى أمريكا هو (٦٠) ستون دولاراً فى الأسبوع . . أما مرتب أو أجر الحارس فهو لا يقل عن (٨٠) ثمانين دولاراً فى الأسبوع . . وهناك «حراس» يتقاضون أكثر من هذا ، وذلك يرجع إلى طبيعة أو اختلاف وظيفة الحارس أو المؤسسة أو الشركة أو البنك الذى سيتولى الحراسة فيه .

المهم : لا يغرك مبلغ الثمانين دولاراً التى سوف تتقاضاها فى الأسبوع ، يعنى ٣٢٠ دولاراً كل شهر . . إن هذا المبلغ «لن» يكفيك أبداً . ولن يغطى نفقاتك أو مصروفاتك . . فالحياة فى الولايات المتحدة الأمريكية مرتفعة جداً سواء من ناحية السكن . . أو الطعام . . أو الملبس وغير ذلك من المصروفات الأخرى . . ويكفى أن أقول لك إن أجر المسكن «فقط» سوف يبتلع جزءاً كبيراً من مرتبك كل شهر . وسوف أتحدث فى مكان آخر من هذا الكتاب عن مستوى الحياة والمعيشة فى

الولايات المتحدة . .

إذن كيف تواجه حياتك المعيشية وتصرف أمورك بالمبلغ الذى سوف تقبضه من وظيفة الحارس . .

الواقع يقول لك : لابد أن تشتغل «وقتاً إضافيا» إلى جانب وظيفتك الحالية التى تستمر فيها ثمانى ساعات بالضبط . ولا أريد أن أقول لك أكثر من ذلك . إذا أدخلنا فى الاعتبار الوقت الذى سوف تستغرقه فى المواصلات . . أو فى خلع ملابسك العادية وارتداء ملابس الحارس .

وتسألنى . . هل يمكن أن تشتغل وقتاً إضافياً . . وكيف . . ؟

والجواب على هذا السؤال هو : إن كل مهاجر جديد فى الولايات المتحدة الأمريكية لا بد له أن يعمل بين ١٢ و ١٦ ساعة كل يوم ! !

نعم هذا هو الواقع ولا بد أن تعرف هذه الحقيقة . .

إن أجر العمل عن (٨) ثمانى ساعات فى اليوم لن يكفيك أبداً أمام نفقاتك الكثيرة ومتطلبات الحياة اليومية . إذن لا بد أن تشتغل وقتاً إضافيًّا آخر لكى تحصل من خلاله على بعض الأموال الأخرى التى تساعدك على سد هذه النفقات أولا . . ثم لتوفير جزء منها تدخره لنفسك حتى يكون لك مع الأيام رأسمال . أو ثروة . . أو أموال متوفرة . . ولا تنس أنك هاجرت إلى أمريكا وهدفك الأول هو الارتفاع بمستوى معيشتك والحصول على جزء كبير من المال لاستثماره فيما بعد فى إقامة مشروع تجارى . . أو تعود به إلى بلدك . .

وتسألنى ما هو العمل الإضافى ؟ فأقول لك : هو أيضا وظيفة حارس . . !

إن وظيفة «الحارس» كما سبق أن قلت لك فى بداية الكتاب هى الوظيفة التى لابد أن يشغلها كل مهاجر فى بداية حياته للأسباب التى ذكرتها من قبل . . ثم إنها

فى بداية كل شىء الوظيفة السهلة التى لا تحتاج إلى كلام أو حديث ، أو بمعنى آخر هى الوظيفة التى تكسر حدة الخوف . . وعقدة اللسان فى اللغة الإنجليزية . . ثم هى الوظيفة التى لا تحتاج إلى خبرة كبيرة وهى - أى الخبرة - لابد من تقديم شهادات أمريكية من جهات عملت أو اشتغلت أو مارست أعمالا فيها داخل الولايات المتحدة .

عندما تريد عملا إضافياً فما عليك إلا أن تذهب مرة أخرى إلى أى مكتب عمل وتطلب منه «عملا إضافيا» ولابد أن تكون صريحا فى طلبك فلا تخدعه أو تغشه . أو تلف وتدور فى الأسئلة . لأن كل شىء هناك يتعلق بتصرفاتك فى العمل المحسوب عليك . . والصراحة هناك هى أهم شىء . .

إن مكتب العمل سوف يقول لك أو يبلغك عن الشركات أو المؤسسات أو البنوك أو غيرها والتى تحتاج إلى «حراس» للعمل لوقت إضافى ثمانى ساعات . . أو أربع ساعات . . أو ساعتين مثلا حسب الاحتياجات . . وسوف تجد نفسك تخرج من عمل إلى عمل آخر تلتزم بدقة المواعيد فى كل من العملين . . أو الوظيفتين . . وتعود إلى البيت فى نهاية العمل وأنت مهدود . . أو تعبان لتأكل ثم تنام بضع ساعات قليلة لتصحو بعد ذلك لتذهب إلى عملك من جديد . . ! !

نعم سوف تجد نفسك متعباً فى نهاية الأسبوع خاصة عندما تجد أنك مضطر إلى العمل يومى «السبت والأحد» من كل أسبوع وهما يوما العطلة أو الراحة الأسبوعية فى جميع الأعمال فى الولايات المتحدة الأمريكية . .

ولكن : أعتقد أن هذا التعب والإرهاق والقرف سوف يزول أو يتلاشى عندما تتسلم فى نهاية الأسبوع وقبل أن تغادر عملك فى طريقك إلى منزلك «شيكا» بمرتبك عن جميع ساعات العمل التى اشتغلتها طوال الأسبوع . سواء كان عن

العمل الأساسى . . أو العمل الإضافى . .

إن المبلغ الذى سوف تراه «مدوّنا» فى الشيك سيجعلك سعيداً جدًّا . وسيفتح شهيتك إلى العمل . . أو إلى المزيد من العمل على أمل أن يكون لديك كل أسبوع مثل هذا المبلغ الذى لم تكن تحلم به لأنه سيكون فى مجموعه تقريباً حوالى ١٥٠ أو ٢٠٠ دولار فى الأسبوع يعنى تحصل على مبلغ كبير كل شهر تصرف منه جزءاً . . وتدخر الباقى – كما قلت لك – للزمن . . !

بواب عمـارة . . !

والآن نترك وظيفة «الحارس» ونذهب إلى عمل آخر وإن كان هذا العمل . أو هذه الوظيفة لا يشغلها إلا عدد قليل من المصريين أو العرب فى أمريكا . . ليس لأنها كما قد يخيل إليك وظيفة حقيرة «أبداً» . . . ! إنها وظيفة ممتازة جداً ولا يمكن لأى إنسان أن يحصل عليها إلا بعد تعب . . ومشقة . . ومرمطة وتولى وظائف أقل منها لفترة طويلة حتى تكون مؤهلا تماماً للوظيفة الرئيسية التى تحتاج بعد كل ذلك إلى دفع رشاوى كبيرة لبعض الموظفين فى مكاتب العمل حتى يوافقوا لك على تولى هذه الوظيفة والتى هى . . . «بواب عمارة . . ! ! »

نعم . . بواب عمارة . أو أى منزل فى أى مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية يعتبر «ملك زمانه» . . أو سلطان عصره . . أو رجلا محظوظاً . . أو إنساناً أهله راضون عنه كما يقول المثل . .

هل تعرف لماذا . . ؟ إن مرتب بواب العمارة فى أى مدينة أمريكية لا يقل عن (٢٠٠) مائتى دولار فى الأسبوع . . بالإضافة إلى شقة مجانية فى نفس العمارة –

شأنه فى ذلك شأن أى ساكنٍ . . وهذه الشقة تكون دائما فى الدور الأرضى المجاور للباب الرئيسى . . ولا تعتقد أنها شقة «أى كلام» كما قد يخيل إليك . . أبداً . . وهذه الشقة مزودة طبعا بتليفون مجاناً . . ! !

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن هذا البواب تحت يده عدد من المساعدين الذين يتولون مهمة جمع «مخلفات الشقق» من العمارة كل يوم . . وتجميعها كلها فى مكان بأسفل العمارة ليتحكم فيها «البواب» يأخذ منها ما يشاء ويعطى منها للمساعدين . . أو يبيعها . . أو يلقى بها أمام باب العمارة فى مكان مخصص للمخلفات فى انتظار أن تحملها سيارات البلدية . .

هل تعرف ما هى هذه المخلفات . . ؟ لا تسخر . . أو تضحكْ . . أو تعتقد أننى أمزح أو أبالغ أو أغالى فى الوصف . . لا . . إن هذه المخلفات هى مثلا :

غرفة نوم . . مراتب . . غرفة صالون . . بدل . . قمصان . . معاطف . . رجالى أو حريمى . . راديوهات . . تليفزيونات . . ساعة حائط . . ! !

وأرجو ألا تعتقد أن كل هذه المخلفات أشياء قديمة . أو مكسّرة . . أو أصبحت لا تصلح فى شىء . . أبداً : إنك بسوف تذهل عندما تقترب منها وتلمسها . أو تتفحّصها وتجد أنها سليمة تماماً . . أو ربما تفاجأ بها أو ببعضها جديدة . .

إن الأمريكان – كما يقول بعض الناس – مجانين يحبّون دائماً تغيير مالديهم من أشياء . . أو إذا شئت فقل إنه «الثراء» وحب التظاهر أمام شعوب العالم من الجنسيات الأخرى المقيمين فى الولايات المتحدة الأمريكية بأنهم أغنياء . وأن مادونهم من أبناء الشعوب الأخرى فقراء . . تماماً كما يفعل بعض أبناء الدول العربية عندما يحضرون إلى القاهرة ويذهبون إلى ملاهى شارع الهرم ويبعثرون أموالهم فى عملية «النقوط» على المطربات أو الراقصات ليظهروا أمام غيرهم من

أبناء الدول الأخرى أنهم أثرياء . .

وقد تذهل أيضاً عندما أقول لك إن كل هذه الأشياء أو الأثاث . أو مخلفات المنازل والعمارات والفيلات تشاهدها دائماً وكل يوم . وباستمرار ملقاة أمام المساكن فى جميع الشوارع سواء فى مدينة نيويورك . . أو فى أى مدينة أمريكية أخرى . .

وأعتقد أن هناك سؤالا يتردد فى ذهنك الآن وهو : أين تذهب كل هذه الأشياء بعد أن يلقى بها الأمريكان فى الشوارع . . ؟

والجواب هو : أن أبناء الدول الأخرى من المهاجرين الفقراء يطوفون الشوارع كل يوم فى المساء بسيارت « ستيشن » أو غيرها من السيارات العادية ليلتقط كل منهم نصيبه أو احتياجاته مما قد يقع فى يده أو يعثر عليه .

وأعتقد أنه ليس عيباً أن أقول إن عدداً كبيراً جدًّا من أبناء مصر والدول العربية من المهاجرين الجدد بالولايات المتحدة الأمريكية يفعلون ذلك . ويفرشون أو يؤسسون منازلهم كاملة من هذه المخلفات . . ! !

وبهذه المناسبة أذكر أننى ذهبت ذات يوم – عندما كنت أقيم فى مدينة نيويورك لزيارة صديق . هو مهندس زراعى ولكنه يشتغل هناك Guard أى حارساً . . وفوجئت عندما دخلت منزله أو الشقة التى يسكنها بأن لديه مجموعة من الراديوهات . . وثلاثة تليفزيونات . . وسبع مراتب موضوعة على سريرين .

– برغم أنه يقيم بمفرده – وأشياء أخرى كثيرة مكررة . . وضحكت وضحك هو الآخر . وقلت له : ماكل هذا . لماذا لم تترك شيئاً لغيرك من المحتاجين . . ؟

وضحك مرة أخرى وهو يقول : « يا سيدى الشوارع ما هى مليانة . » واللى محتاج حاجة بيشيلها » . .

قلت : وهل أنت محتاج إلى كل هذا . . الراديوهات . . والتليفزيونات . . والمراتب التى تحتاج إلى «سلم» لتصعد إليها ؟

ودخل معى فى مناقشة طويلة انتهت إلى قوله ; الجماعة الأمريكان دول مجانين . . .

طيب قول لى بالله عليك كل الأشياء الموجودة عندى بما فيها المراتب جديدة وكأن أحدا لم ينم عليها . . ما هو السبب فى أن يلقى بها الناس فى الشوارع ؟ أليس هذا يعتبر «تبطرا» على نعمة الله . . ؟

وكان ردى عليه : وأليس من الظلم أيضاً أو «الافتراء» أن تحمل كل هذه الأشياء وتضعها فى شقتك . . ؟

وفى أثناء حديثنا دق جرس التليفون ورد صديقى على المتحدث . وفهمت من خلال الحديث أن المتكلم هو صديق آخر مصرى أبلغه فى الحديث أنه قد عثر عند عودته إلى منزله على «تليفزيون فخم جدًّا . . وكرسى مكتب . . وكنبة ستديو . . حملها جميعا إلى شقته . .» وبعد أن انتهى صديقى من المحادثة التليفونية قال لى : هيا بنا . .

قلت : إلى أين ؟ .

قال : نذهب إلى «فلان» وهو الذى كان يتحدث معه بالتليفون . .

قلت : لماذا . . ؟

قال : من أجل أن نشاهد الأشياء التى عثر عليها فى الطريق . . إنه يقول إنها كلها فى حالة جيدة جدا . . !

قلت : اذهب أنت لأننى متعب وفى حاجة إلى الراحة وسأعود إلى منزلى . . وتركته وانصرفت !

العمل بالمطاعم . .

أعتقد أنه من الضرورى أن تأخذ فكرة عن كيفية اشتغال المهاجرين فى المطاعم بالولايات المتحدة الأمريكية . .

إن العمل فى أى مطعم يحتاج إلى خبرة سابقة طبعاً . . مثلها مثل أى عمل آخر . . ولكن هناك وظيفة واحدة فى أى مطعم لا تحتاج إلى خبرة . . وهذه الوظيفة هى : غسيل الأطباق . . أو جمع الأطباق من فوق الترابيزات . . وهذا العمل أو هذه الوظيفة أجرها ضئيل . . ولكن إلى جانب ذلك لها بعض المميزات وهى : مثلاً . . تناول الوجبات مجاناً . . ثم الحصول على جزء من « البقشيش » الذى يحصل عليه العامل . أو شاغل هذه الوظيفة عن طريق رئيسه وهو « الجرسون » . . فالذى يحدث أنه فى نهاية اليوم . وقبل أن يغادر العامل المطعم يعطيه « الجرسون » بعض الدولارات . . وهذا ليس « فرضاً » ولكنه عرف معمول به فى جميع المطاعم . . وربما يكون هذا « البقشيش » الذى يحصل عليه العامل . بالإضافة إلى الوجبات المجانية هو السبب فى ضآلة الأجر . .

أو ربما يرجع السبب فى ضآلة الأجر إلى أن مثل هذا العمل أو هذه الوظيفة لا يقبل عليها إلا « المهاجر » الذى لا يعرف اللغة الإنجليزية . لأنها لا تحتاج إلى حديث أو كلام مع الزبائن . فكل عمله أو وظيفته تنحصر فى غسل الأطباق فى حوض المطبخ . أو جمع الأطباق من فوق الترابيزات بعدها ينصرف عائداً إلى منزله . . ! !

وأعتقد أن هناك سؤالاً آخر يدور فى ذهنك الآن وهو : هل هناك مصريون

يشغلون مثل هذه الوظيفة . . ؟

والجواب : نعم . . هناك كثير من المصريين والعرب من أبناء الدول العربية يقبلون ويرحبون بمثل هذه الوظيفة فى بداية حياتهم . أو هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية للأسباب التى ذكرتها لك من قبل وهى :

عدم إجادة اللغة الإنجليزية . . أو عدم معرفتها . . أو ربما لعدم تمكنهم من العثور على وظيفة «حارس» . . أو كما سبق أن قلت :

لكسر حدة الرهبة والخوف من مواجهة الحياة فى أمريكا . . أو ربما يكون قد ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية «زائراً» وليس معه بطاقة إقامة مثل أى مهاجر ويريد أن يستمر هناك . وفى هذه الحالة يشترط عليه صاحب المطعم أن يشتغل «مجاناً» بدون أجر مقابل البقشيش . . والوجبات المجانية . . وحمايته من التشرد . . !

وتسألنى أيضاً : هل هذا ممكن . . يعنى هل يمكن لأى إنسان أن يشتغل دون أن يكون مهاجراً . . وليس معه بطاقة إقامة ؟ . .

والجواب أن هذه مشكلة كبيرة جداً وقد خصصت لها فصلاً كاملاً فى الكتاب ومن الواجب أن تعرف كل شيء عن هذا الموضوع حتى لا تقع فى كارثة . . وأرجو أن تؤجل الحديث فى هذه المشكلة الآن حتى أنتهى من شرح أو عرض التفاصيل الوافية لبعض الأعمال أو الوظائف التى يمكن أن تشغلها . . أو يشغلها بعض المهاجرين . .

سائق التاكسى . .

هل من حق «المهاجر» المصرى أو العربى أن يشتغل سائق تاكسى فى أى مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية . . ؟

وهل وظيفة سائق التاكسى مربحة أو مجزية . . ؟

الجواب : إن من حق أى مهاجر سواء كان مصريًّا أو عربيًّا . . أو ينتمى إلى أى جنسية أخرى فى العالم أن يشتغل سائق تاكسى فى أى مدينة أمريكية . .

بل أزيد على ذلك فأقول : إن من حق أى «مهاجر» يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية – مهما تكن جنسيته – أن يشتغل فى أى عمل مادام يحمل بطاقة إقامة دائمة . . ويعتبر «مهاجراً رسمياً» . . .

إن القانون الأمريكى يعطى للمهاجر جميع الحقوق التى يتمتع بها المواطن الأمريكى . . كما أن القانون أيضاً يحمّل هذا المهاجر كل الواجبات التى يجب أن يقوم بها نحو الدولة .

ولكن : هناك نقطة واحدة . . أى شىء واحد لا يتمتع به «المهاجر» وليس من حقه القيام به أو ممارسته إلا بعد حصوله على الجنسية الأمريكية التى يكون من حقه الحصول عليها بعد مرور خمس سنوات كاملة من إقامته «كمهاجر» بالولايات المتحدة الأمريكية . .

هذا الشىء هو : حق الانتخاب . . ! إذ ليس من حق المهاجر أن يشترك فى انتخاب رئيس الجمهورية فى أمريكا . . أو انتخاب أى عضو من أعضاء الكونجرس الأمريكى فى الولاية التى يعيش فيها . . أو انتخاب محافظ الولاية . .

ـ عمدة المدينة التى يقيم فيها إلا بعد أن يحصل على الجنسية الأمريكية . .

هذا هو الشىء الوحيد فى القانون الأمريكى الذى يفرق بين المهاجر – فى الحقوق والواجبات – وبين المواطن الأمريكى الأصلى . . .

ونعود بعد ذلك إلى الكلام عن وظيفة « سائق التاكسى » أو بمعنى أصح عمل سائق التاكسى إذ ربما يتبادر إلى ذهنك أن كلمة وظيفة معناها أن سائق التاكسى هو رجل موظف فى الدولة . .

إن عمل سائق التاكسى مربح جداً فى أمريكا . . وتسألنى لماذا هو مربح جداً . . ؟ أقول لك .

إن سائق التاكسى يعمل هناك « بالساعة » مثل أى وظيفة « أو عمل آخر » وهو يشتغل مثل غيره ثمانى ساعات فى اليوم : إلا إذا أراد أو رغب فى زيادة ساعات العمل ، وهو فى هذه الحالة يطلب أو يتفق مع المكتب أو الشركة أو صاحب العمل على ذلك . . أما الأجر الذى يتقاضاه السائق فى اليوم – يعنى خلال فترة عمله والتى هى ثمانى ساعات «فقط» فإنه حوالى ثمانين أو مائة دولار . . !

هذا طبعاً بالإضافة إلى «البقشيش» الذى يحصل عليه من الركاب . .

وهناك سؤال قد لا يتبادر إلى ذهنك . . وأطرحه أنا وهو : هل يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية مانراه فى بعض سائق التاكسى فى مصر والذى يتمثل فى حصول السائق على أجر توصيله لنفسه أو لجيبه الخاص دون أن يسجلها فى العداد . . . ؟

والجواب : نعم بالتأكيد هذا يحدث وقد حدث معى أنا شخصياً . . وقبل أن أشرح لك كيف حدث هذا أقول لك إنصافاً للحق أو توضيحاً للأمور إن سائق

التاكسى فى أى مدينة أمريكية لا يستطيع ولا يمكن أن يقوم بمثل هذا العمل – وهو الحصول على حق أو أجر توصيله لنفسه إلا فى الساعات المتأخرة من الليل حيث يكون رجال البوليس أو المرور قد هدأت أو خفت حركتهم تماماً . .

أما كيف يحدث ذلك فإنى سأروى لك ما حدث لى شخصياً :

كنت ذات يوم أقضى سهرة عند أحد الأصدقاء فى منزله وهو بعيد عن سكنى وقد خرجت من عنده حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . . ولما كنت أعرف تماماً أن حركة المواصلات – سواء (القطارات) الموجودة تحت الأرض . . أو الأتوبيسات – تكون بطيئة جداً فى مثل هذا الوقت ، بمعنى أنها تكون قليلة . وهذا سيضطرنى إلى الوقوف على محطة القطار . . أو الأتوبيس حوالى ساعة تقريباً قررت أن أستعمل «التاكسى» فى طريق عودتى إلى المنزل . .

وقفت على الرصيف وأشرت إلى إحدى سيارات التاكسى القادمة . ووقف السائق وفتحت باب السيارة وطلبت منه توصيلى إلى الجهة التى ذكرتها له . . وقبل أن تتحرك السيارة أو يضع يده على العداد ليحرك . . «البنديرة» نظر إلىّ وقال : هل لديك مانع أن أوصلك دون أن أستعمل العداد . . ؟ !

والواقع أننى رأيتها «مغامرة» من السائق . . لأنه لو حدث أو تصادف وضبط فى أثناء الطريق بمعرفة رجل البوليس . . أو أحد رجال المرور فالعقاب هو «سحب رخصته فوراً» .

ولكن : حب الاستطلاع أو اكتشاف شىء جديد علىّ هو الذى دفعنى أن أقول له : مفيش مانع . . وفى نفس الوقت طاف بذهنى شريط سريع جداً من التفكير كله خوف ورهبة ورعب مما قد يحدث لى . وهذا الخوف الذى تملكنى جاء نتيجة ما أسمعه وأقرؤه كل يوم من الناس . أو فى الصحف عن حوادث القتل . .

والنصب والاحتيال . والتهديد و و . . إلخ الذى يقع لكثير من الناس من بعض سائق التاكسى . وهذا ما جعلنى أسأل السائق أولاً عن الأجرة أو المبلغ الذى سوف يتقاضاه منى مقابل توصيلى دون استعمال العداد . .

وكان رد السائق على سؤالى هو : اللى تدفعه . . !

قال هذه الكلمة بكل هدوء وأدب مما جعلنى أطمئن بعض الشىء . . .

وقبل أن أسترسل معه فى الحديث شأن أى راكب مع سائق التاكسى فى أى بلد تظاهرت بأننى أبحث عن شىء فى جيوبى ودون أن يدرى دونت أو سجلت رقم السيارة على ورقة حتى أكون مطمئنا فى المستقبل فى حالة حدوث أى شىء أو اعتداء علىّ من السائق . . وبعد أن فعلت ذلك ووضعت الورقة فى جيبى اخذت أتحدث معه فى بعض الأمور التى تتعلق بحياته وهل هو أمريكى الأصل . . أو « مهاجر » من دولة أخرى . . ؟

وكانت إجابته : أنه من إحدى دول أمريكا اللاتينية . .

وسألته مرة أخرى : هل صاحب السيارة التى يشتغل عليها لديه سيارات أجرة أخرى غير هذه السيارة . . ؟

قال : إن لديه حوالى (٦٠) ستين سيارة أجرة . . ! !

قلت : كم مضى عليك من الزمن وأنت تعمل لديه فى هذا العمل . . ؟

قال : عدة شهور . . .

قلت : بعدأن اعتذرت له عن سؤالى : ما هو الأجر الذى تحصل عليه فى اليوم من صاحب العمل . . ؟

قال وكأنه فهم الغرض من وراء سؤالى :

أحصل على حوالى سبعين دولاراً . . ولكن الناس كلهم حرامية . . !

وقبل أن يسترسل فى الكلام قلت له :

حرامية ازاى . . ؟

قال : يعنى صاحب السيارة دى راجل يعتبر مليونيراً . . ولديه أموال كثيرة جدًا ولا يعرف كيف يعيش . . ويستغلنى أنا وغيرى من أجل أن يكدس الأموال فى البنوك . . !

قلت : كل الناس فى الولايات المتحدة تضع أموالها فى البنوك – وليس هذا الرجل فقط . .

أجاب : هذا صحيح . . ولكن الذى أريد أن قوله : إن هذا الرجل لا يعرف معنى الفلوس . . يعنى لو رأيته ورأيت منظره أو مظهره لا يمكن أن تقول عنه إنه مليونير . . !

وأردت أن أخرج من الحديث فى هذا الموضوع الذى فهمت منه أنه يريد أن يبرر سرقته للمبلغ الذى سوف يحصل عليه منى فسألته مرة أخرى :

ما هو المبلغ الذى ادخرته حتى الآن خلال هذه الشهور التى اشتغلت فيها سائق تاكسى . . . ؟

ضحك وكأنه فهم ماذا أريد من وراء هذا السؤال وقال : أنا مهاجر إلى أمريكا جديد ، ولم يمض على فى مدينة نيويورك أكثر من سنة ونصف سنة . ولدى أولاد صغار . وزوجتى لا تعمل . .

قلت : وهل هناك زوجة فى أمريكا لا تعمل . . جميع الزوجات وكل الأولاد فى أى أسرة يعملون . .

قال ضاحكاً : إلا زوجتى . . !

وضحكت أنا أيضاً لخفة دمه .

وحديثه الذى كان يبرر به السرقة . . وعندما وصل بى إلى المنزل ووقفت السيارة سألته :

كم تريد . . ؟

قال : الذى تدفعه وأنت تعلم طبعاً كم دفعت قبل ذلك فى مثل هذه المسافة . . !

وأخرجت من جيبى ورقة من فئة العشرة دولارات وأعطيتها له وانتظرت أن يعطينى الباقى . وتركت له حرية الحصول على المبلغ الذى يريده . . مع علمى أن المبلغ الذى دفعته من قبل فى هذه المسافة بالتاكسى عن طريق العداد هو ثمانية دولارات . .

وسلمنى مبلغ ستة دولارات من بقية الورقة فئة العشرة دولارات . . يعنى حصل على نصف الأجرة . .

وشكرته وانصرف . . . ودخلت أنا إلى منزلى . . وفى أذنى كانت تدوى كلمة السائق : الناس كلهم حرامية . . ! !

عمال النظافة . . !

يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية نوع آخر من الوظائف أو الأعمال التى يشغلها أى مهاجر ، ولكن : هذا النوع من العمل لا يقبل عليه أحد من المهاجرين المصريين أبداً أو العرب . باستثناء بعض أبناء إحدى الدول العربية «الفقيرة» . . وهذا النوع من العمل يحتكره أو لا يقبل عليه إلا المهاجرون الإسبان من أبناء دول أمريكا اللاتينية . . لماذا ؟ لا أعرف . . !

ولكن المؤكد أن هذا النوع من العمل لا يقبل عليه المهاجرون المصريون أو أبناء الدول العربية لأنه فى نظرهم «عمل حقير» ولا يتناسب معهم . .

هذا العمل هو : عامل نظافة . . ! وحتى تكون هناك صورة واضحة لديك عن وظيفة عامل النظافة أو العمل الذى يؤديه أقول لك أولاً : إنه لا يوجد أبداً فى أى مؤسسة . . أو شركة أو بنك . . أو غير ذلك من الإدارات الأخرى «فراشين . . أو خدم» مثلما هو موجود فى مصر يقومون بأعمال نظافة المكاتب وخدمة الموظفين . . !

إن جميع الموظفين وغيرهم فى أى مؤسسة أو شركة أو بنك أو غير ذلك فى كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية محرم عليهم تماماً تناول أى نوع من الأكل أو الشرب – أو حتى الحديث فى التليفون فى أثناء العمل . . ! ! –

إن العمل هناك ثمانى ساعات فى اليوم تتخللها ساعة واحدة فقط يخرج فيها الموظفون لتناول وجبة الغداء . . أو العشاء حسب وقت ونوع العمل الذى يزاوله.

أما كيف تتم عملية تنظيف المكاتب فى هذه المؤسسات . . والشركات . . والبنوك وغيرها . فهذا ما سأشرحه لك :

هناك طبعاً مكاتب عمل . . أو تخديم . . أو توظيف الذين لا يجدون أعمالاً وهى المكاتب التى ذكرتها لك فى البداية . . وهذه المكاتب الموجودة والمنتشرة فى كل مدينة تابعة لشركات ليست حكومية طبعاً . . يذهب المهاجرون إلى هذه المكاتب عن طريق الإعلانات التى تنشرها الصحف كل يوم عن وجود وظائف خالية . . ويتقدم المهاجرون كل يوم إلى هذه المكاتب – وهى عادة مزدحمة جداً بطالبى العمل – لملء استمارة وتقديم عدة صور فوتوغرافية لهم مثل أى عمل . ويسأله الموظف أو الموظفة بالمكتب عن الأعمال التى مارسها قبل ذلك فى وطنه . .

ثم الأعمال التي زاولها في أي ولاية أو مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية . . وعن مدى معرفته باللغة الإنجليزية . . هل يجيدها . أو أن معرفته بها قليلة . . وهل يحمل شهادة عليا أو متوسطة . . وطبعاً إذا كان طالب الوظيفة أو العمل يحمل شهادة عليا فإن طلبه سوف يرفض . . والسبب في ذلك أن المختصين أو علماء النفس في هذه الشركات يقولون : إن عمال النظافة يجب ألا يكونوا على مستوى عال من التعليم أو مثقفين حتى لا ينظروا إلى العمل بكبرياء أو ازدراء . وحتى لا يكون هناك نقص بصفة مستمرة في هذا النوع من العمل . لأن طالب الوظيفة إذا كان متعلماً فإنه يقبل على هذه الوظيفة مضطراً – لبعض الوقت – حتى تتاح له الفرصة ويجد له عملاً آخر . ولهذا لا يكون هناك استقرار بين العمال أو المشتغلين بهذا العمل . . ! !

أما نوعية وكيفية هذا العمل . . وكيف يمارس «المهاجر» هذا العمل . . والوقت الذي يزاوله فيه فأقول لك :

إن عملية نظافة المكاتب في المؤسسات أو الشركات . . أو البنوك في أي مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية تتم أو تبدأ دائماً بعد انتهاء جميع الموظفين من أعمالهم . . وخروجهم من المباني . . وبعدها بقليل يبدأ دخول عمال النظافة الذين يكونون موجودين قبل ذلك في مكتب رئيس الخدم الموجود في كل مبنى . حيث يقوم بتوزيع العمال جميعاً « بمعنى » أن كل مجموعة أو بضعة أفراد سواء كانوا رجالاً أو نساء يتولون عملية تنظيف دور من أدوار المبنى – وطبعاً هذه الأدوار . . أو المبنى كله شركات . . أو مؤسسات . . أو غير ذلك وليست مباني سكنية . .

إن مهمة عمال النظافة هي . .

أولاً : يوزع عليهم رئيس العمل أدوات النظافة وهي عبارة عن مكنسة

كهربائية . . وجهاز لتلميع الأرض . . وجردل ليوضع فيه الماء الممزوج ببعض المطهرات . . وفرشاة كبيرة لتلميع المكاتب . . كل هذه المعدات أو الأجهزة يستعملها «عمال النظافة» وكل فرد يتولى عمل شيء . . وعندما تنتهى مجموعة من المجموعات من تنظيف دور من الأدوار تنتقل إلى دور آخر . . أو مكاتب أخرى فى نفس المبنى . .

وربما يدور فى ذهنك سؤال وهو : أليس من الممكن أن يسرق أى عامل نظافة من هؤلاء العمال أى شيء يكون موجوداً على أى مكتب من المكاتب . . ؟

والجواب : أولاً . . يوجد مع كل مجموعة من العمال «موظف» مهمته ملاحظة ومراقبة هؤلاء العمال .

ثانياً : جميع مكاتب الموظفين فى المؤسسات أو الشركات . . أو البنوك بالولايات المتحدة الأمريكية عبارة عن صالات كبيرة جدا وواسعة تتجمع فيها مكاتب الموظفين . وفى ركن أو جانب من هذه الصالة الكبيرة يوجد مكتب رئيس العمل لمراقبة حركة العمل بين الموظفين . . إذن فمن السهل جداً أن يقف موظف أو مراقب لرصد حركة عمال النظافة فى أثناء عملهم . .

ثالثاً : هناك تفتيش على العمال بعد انتهاء أعمالهم وعند انصرافهم من المبنى حيث يتم تفتيش كل واحد منهم تفتيشاً دقيقاً لمعرفة ما يمكن أن يحمله أو يخفيه بين طيات ملابسه . . !

وأعتقد أن هناك سؤالا آخر يتردد فى نفسك عن معرفة الأجر الذى يتقاضاه عامل النظافة فى خلال الثمانى ساعات التى يعملها والتى تبدأ من الساعة السابعة مساء وتنتهى فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريباً ؟ ! .

والجواب هو : أن أجر عامل النظافة يتراوح بين ثلاثين أوأربعين دولارا فى اليوم.

وتسألنى لماذا هذا الأجر المرتفع . . ؟

والجواب أيضاً هو : أن هذه الوظيفة . . أو هذا النوع من العمل لا يقبل عليه أحد . . أو كثير من المهاجرين لأنه – كما سبق أن قلت – من أحقر الوظائف أو الأعمال التى لا يقبلها أو يقبل عليها إلا فئة أو طبقة معينة من المهاجرين وهم ما نسميهم بلغتنا العربية «الغلابة» أو الجهلة . .

هناك شىء هام جداً يجب أن تعرفه قبل أن تهاجر . . أو ترحل عن وطنك إلى الولايات المتحدة الأمريكية للإقامة فيها بصفة دائمة وهو : إذا كنت فى «سن التجنيد» يعنى عمرك قد بلغ أو تعدى الثامنة عشر عاما فإنك سوف تجنّد بالقوات المسلحةِ الأمريكية . . ومن الواجب أو الضرورى أن تتقدم إلى الجهات المسئولة فى المدينة التى سوف تقيم فيها بطلب تخطرهم بذلك حتى تطلب للتجنيد فى الوقت المناسب . . وإياك أن تتخلف عن هذا الواجب أو تهمل فيه ، فالمفروض أنك مادمت «مهاجراً» وتحمل معك بطاقة إقامة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية فأنت مواطن أمريكى لك كل الحقوق . . وعليك كل الواجبات مثل أى أمريكى أصلى مولود على أرض الدولة هناك «ما عدا شيئا واحد» كما قلت لك من قبل وهو : حق الاشتراك فى الانتخابات العامة . . حتى تحصل على الجنسية الأمريكية . . وطبعاً السلاح الذى سوف تلحق به فى القوات المسلحة الأمريكية من حقه ترحيلك إلى أى مكان سواء داخل الولايات المتحدة . . أو خارجها فى أى دولة أخرى أو مكان آخر توجد فيه قوات أمريكية . . !

أما إذا كان عمرك قد تعدى سن التجنيد فهذا طبعاً سوف يعفيك من الانخراط فى سلك الجندية أو القوات المسلحة الأمريكية . . وهذا كله يسرى عليك سواء كنت متزوجاً أو غير متزوج . . !

الإقامة بدون هجرة . !

احذر أن تسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية هارباً من وطنك . . أو بقصد الزيارة أو فى مهمة رسمية وفى نيتك الإقامة هناك بصفة دائمة دون أن تكون « مهاجراً رسمياً » ؟ !

إذا فعلت ذلك دون أن تحصل مقدماً على الهجرة من السفارة الأمريكية فى الدولة التى تقيم فيها فسوف تلاقى العذاب . . وتعيش فى رعب . . ومن المؤكد أنك ستواجه الكثير جداً من المشاكل لفترة طويلة قد تمتد إلى سنوات لا تستطيع فيها الاشتغال بأى عمل قبل أن تحصل على موافقة « إدارة العمل » ثم « إدارة الجوازات » فى المدينة التى تقيم فيها على هجرتك وإقامتك بالولايات المتحدة الأمريكية . .

إن موافقة الجهات المسئولة فى أمريكا على إقامتك بصفة دائمة مثل أى مهاجر

تتم دائماً أو غالباً فى حالتين وهما :

إما أن تتزوج من أمريكية شرعاً ورسميًّا وبعد أن تتأكد إدارة المباحث الفدرالية . . ومباحث إدارة الجوازات من هذا الزواج الرسمى . . وإما أن تشتغل فى عمل لا يتوفر لأى أمريكى القيام به على شرط أن تحصل من الجهة التى تعمل لديها . . أو تقوم بتوظيفك عندها عن «عقد عمل» رسمى مدون فيه الأجر اليومى الذى تتقاضاه وهو طبعاً لا يقل على مبلغ معين حسب نوع العمل . . والخبرة . . ثم المدة التى سوف تعملها وهى لا تقل عن عامين . .

وطبعاً من المستحيل أن تجد أى إنسان صاحب عمل «مصرى . . أوعربى» يقبل أن يكتب لك عقد عمل بهذه الشروط . . إلا إذا كان «أباك» أو ابنك . . ! !

هل تريد أن تعرف لماذا لا يقبل أى إنسان أن يعطيك . . أو يكتب لك عقد عمل . . ؟

يوجد فى عقد العمل شروط وهى :

أولا : لابد أن يدفع لك صاحب العمل الأجر كاملاً كما هو مكتوب فى العقد . . وهذا لا يحدث أبدا من أى صاحب عمل . . !

ثانياً : من الممكن أن تستمر فى عملك لمدة ستة أشهر كاملة ثم تخرج بعد ذلك سواء برضاك . . أو برغبة صاحب العمل . . وفى هذه الحالة من الواجب – كما اشترط القانون – أن يدفع لك صاحب العمل مرتبك كاملاً – كما هو مكتوب فى العقد – لمدة عام . . ثم نصف مرتب لمدة ستة أشهر . . ! !

لهذا لا يمكن لصاحب أى عمل مهما تكن درجة قرابته لك . . أو صلته بك . أن يكتب لك عقد عمل ويتحمل هذه المسئولية . .

إن الذى يحدث دائماً – وقد حدث كثيراً – أن يطلب صاحب العمل من الشخص طالب الوظيفة الذى هو غير مهاجر دفع مبلغ كبير من المال يتراوح بين ألف . . وألفى دولار لكى يكتب له عقد العمل . . وهذا العقد يسجل بمعرفة أحد المحامين الذى يقوم بإرساله بمعرفته إلى إدارة العمل . . وإذا وافقت . . تحوله أى العقد – إلى إدارة الهجرة والجنسية بالمدينة التى تقيم فيها بالموافقة . .

وهنا أيضاً لا تنس أن المحامى الذى سيقوم بإجراءات تسجيل العقد سيكون مكلفاً بالقيام بإجراءات إتمام الهجرة حتى تحصل فى النهاية على الإقامة الدائمة . . وهو فى هذه الحالة يتفق معك – لا مع صاحب العمل – على الأتعاب وهى تتراوح بين ألف أو ألفى دولار . ! !

ولا تنس أن كل هذه الإجراءات سوف تستغرق وقتاً طويلاً – كما سبق أن قلت لك – وهذا الوقت قد يمتد إلى عام أو عامين . . وأنت طبعاً مطلوب منك طوال هذه الفترة أن تأكل . . وتشرب . . وتنام . . وتعيش . . وتستقر . . وطبعاً : أنت رجل جديد «خالى شغل» وليس معك من الأموال غير بضعة دولارات تكفيك لعدة أيام ، ومهما اشتغلت «خلسة» دون علم الجهات المسئولة فسوف تعيش فى رعب وخوف وعدم استقرار لأنك سوف تكون مهدداً بالطرد من جميع الأراضى الأمريكية فى حالة اكتشاف أمرك عن طريق رجال الأمن . ! أو عن طريق مباحث إدارة الجوازات التى تبحث عنك طبعا بعد أن تكتشف انتهاء مدة إقامتك فى الولايات المتحدة الأمريكية من واقع الأوراق الرسمية التى سجلت عليها وصولك بالمطار .

أما إذا تزوجت من «أمريكية» فإن هذا ولا شك سوف يعطيك الحق فى الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة الأمريكية على شرط أن تتأكد الجهات المسئولة

أن هذا الزواج صحيح . . ورسمى . . وأنكما – أنت والزوجة – تقيمان معا فى بيت واحد . . وليس زواجاً على ورق ، مقابل مبلغ من المال لأى فتاة أو سيدة عن طريق بعض السماسرة المتخصصين فى ذلك للحصول على الإقامة الدائمة . . !

وتسألنى . . هل يحدث شىء مثل هذا فى الولايات المتحدة الأمريكية . . ؟

والجواب : نعم . . هناك كثير من عمليات الزواج تتم بين بعض الرعايا من أبناء دول العالم المختلفة الذين يسافرون إلى أمريكا بدون هجرة . . ثم يقررون الإقامة هناك بصفة دائمة – وبين بعض الفتيات أو السيدات المطلقات مقابل أن يدفع الواحد منهم ألف دولار . . أو أكثر للفتاة أو السيدة . . ومبلغاً آخر «للسمسار» أو الوسيط الذى يقوم بهذه العملية . . وقد اكتشفت إدارة الجوازات . وجهات الأمن المختلفة بالولايات المتحدة الأمريكية هذه اللعبة . . وكانت النتيجة هى : أنه فى حالة تقدم أى مواطن يقيم فى أمريكا ؟ ليس مهاجراً – بطلب إلى إدارة الهجرة للحصول على الإقامة الدائمة ويرفق بطلبه «وثيقة الزواج من أمريكية» تقوم مباحث إدارة الجوازات . . ورجال المباحث الفيدرالية «أى المباحث الجنائية» بمهاجمة منزل الزوجين فى ساعات متأخرة من الليل . . ولعدة أيام للتأكد من وجود الزوجين فى المنزل وإقامتهما مع بعضهما . . والبحث فى «الدواليب» عن ملابس الزوجين . . ثم إجراء تحريات واسعة ودقيقة لمعرفة هل هذا الزواج صحيح . . ولغرض الزواج أم . . «أى كلام» ولقصد حصول الرجل على الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة الأمريكية . . وحصول الزوجة على بعض الأموال عن طريق هذه العملية . . ! !

والخلاصة أنه فى كل من الحالتين «فأنت الخسران» لأنك سوف تدفع الكثير . والكثير جداً من المال . . والتعب . . والإرهاق . . والقلق . . وعدم

الاستقرار لمدة عام . . أو عامين . . ؟ ! !

وأخيراً أقول لك : احذر أن تسافر إلى الولايا ت المتحدة الأمريكية هارباً من وطنك . . أو بقصد الزيارة . . أو فى مهمة رسمية وفى نيّتك الإقامة هناك بصفة دائمة دون أن تكون مهاجراً رسمياً » . . ! !

الزواج . . للهجرة . . !

أعتقد أن هناك سؤالاً يدور فى ذهنك عن طريق زواج المصريين أو العرب من أمريكيات بغرض الحصول على الإقامة الدائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وكيف يتم عن طريق السماسرة أو الوسطاء . . وما هى نوعية الفتيات أو السيدات اللائى يقبلن الزواج بهذه الطريقة . . ؟

والجواب هو : هناك طريقتان يتم بوساطتهما الزواج . .

الطريقة الأولى : أن يتعرف الشاب على الفتاة أو المرأة عن طريق تردده على أحد الملاهى الليلية أو أندية الرقص . . أو فى أى مكان آخر وينشأ بينهما تعارف ثم يعرض عليها الزواج منه – وهو وحظه – إما أن تقبل . . أو ترفض . . وغالباً إذا كانت أمريكية الأصل فهى ترفض مثل هذا الزواج لأن الأمريكيات الأصل ترفض الواحدة منهن الزواج من رجل – أى رجل – قبل أن تعرفه جيداً وتعرف كل شىء عنه وعن ميوله . واتجاهاته ورغباته . وكان بينهما حب ومعاشرة لفترة تستطيع عن طريقها دراسته جيداً حتى تضمن أن حياتها المقبلة معه سيكون فيها الاستقرار والتفاهم فى كل شىء . .

أما إذا كانت غير أمريكية الأصل – بمعنى – أنها قد اكتسب الجنسية

الأمريكية بحكم إقامتها الطويلة فى الولايات المتحدة الأمريكية - شأنها فى ذلك شأن أى مهاجر آخر يستطيع الحصول على الجنسية الأمريكية بعد خمس سنوات إقامته - فإنها تقبل الزواج منه .

وهنا يبرز سؤال : ما هى الفائدة التى تكسبها مثل هذه « المرأة » من الزواج من رجل يعتبر فى حكم « العاطل » ليس معه أموال ولا يستطيع الإنفاق عليها . خاصة وهى تعلم أنه يتزوجها من أجل الحصول على الهجرة والإقامة الدائمة فى أمريكا . . ؟

وما هى جنسية هذه المرأة غير الأمريكية الأصل . . ؟

والجواب هو : أن المرأة التى تقبل الزواج لهذا السبب وبهذه الطريقة هى غالباً إما أن تكون كبيرة فى السن . . أو فتاة طائشة . . وليس معنى طائشة أنها صغيرة أو غير مقدرة للظروف . أو لا تعرف شيئاً . ولكنى أقصد أنها فتاة لا تقدر المسئولية . ولا تحترم الزواج . . أو قدسية بيت الزوجية . .

ولهذا فهى تقبل الزواج من أى رجل من أجل أن يكون بمثابة « ساتر . . أو برافان » تحتمى وراءه من أى كارثة . . وفى نفس الوقت تعلم هذه المرأة تماماً أن زوجها لن يستطيع الإفلات منها بسهولة مهما فعلت . . وإذا أراد أن يطلقها فالثمن الذى سوف يدفعه سيكون غالياً ويكلفه الكثير ، لأن القانون الأمريكى يحمى المرأة تماماً عند الطلاق . .

ولهذا أيضاً : فإن شخصية الزوجة الأمريكية أقوى من شخصية زوجها بكثير . . بل هى كل شىء فى المنزل وخارجه . .

يعنى أولاً : عندما يتم الطلاق بين الزوجين يكون من حق المرأة قبل كل شىء الحصول على الشقة بكل محتوياتها . . ومن أجل هذا تهتم المرأة أو الزوجة الأمريكية

بتأثيث بيت الزوجية من كل شيء حتى تحمي نفسها ومستقبلها فى حالة وقوع الطلاق . .

ثانياً : يعطى القانون الأمريكى الزوجة المطلقة الكثير من أموال . . وممتلكات وعقارات مطلقها و«سجنه» أيضاً فى حالة عدم الوفاء أو عدم الالتزام بهذه الأشياء . .

أما الطريقة الثانية التى يتم عن طريقها الزواج فهى عن طريق السمسار . . أو الوسيط . !

وأما كيف يتم ذلك فأقول لك : هناك بعض أبناء الدول العربية – من الذين يعيشون فى أمريكا منذ سنوات طويلة – يقومون بهذه المهمة مقابل أن يحصل لنفسه على ألف دولار . . ثم ألفى دولار أخرى للفتاة . . أو بمعنى أصح للمرأة التى سيتم الزواج منها . ! وهذه المرأة تكون دائماً – وليس غالباً – من بنات الليل . . وتشترط هذه المرأة على الزوج المقترح ألا يطلب منها معاشرتها أو العيش معها . . أو الإقامة معه فى منزلها . .

فقط . . تقابله بمعرفة الوسيط أو السمسار «للتعارف» ثم تقبض المبلغ وتذهب معه إلى مكتب توثيق العقود لعقد القران . . ثم تذهب معه إلى إدارة الجوازات لتقف معه أمام الموظف المسئول وتشهد أنها زوجته من أجل إتمام أو إنهاء أوراق الإقامة . . ثم بعد ذلك يطلقها أو تستمر على ذمته . .

المهم . . كل واحد فى حاله . . لا هى تعرف عنه شيئاً . . ولا هو يعرف عنها شيئاً . . ! !

ولكن : غالباً يتم الطلاق بينهما حتى لا تكون هناك عقبة فى مستقبل المرأة عندما تريد الاستقرار عن طريق الزواج بمن تتعرف عليه وتحبه . . ! !

أما جنسية مثل هؤلاء الفتيات أو السيدات فهن غالباً من بعض دول أمريكا اللاتينية . . !

لقد اكتشفت إدارة الجوازات والجنسية بالولايات المتحدة الأمريكية مثل هذه الألاعيب والحيل التى يلجأ إليها بعض الناس الذين يذهبون إلى أمريكا بقصد الزيارة . . أو الدراسة . . أو البعثات ثم بعد ذلك يرغبون فى الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الزواج . .

ولهذا : فإن أى وثيقة زواج يتقدم بها أى رجل من رعايا أى دولة للزواج من أمريكية تكون موضع بحث ودراسة وتحريات واسعة ودقيقة جدًّا عن طريق رجال مباحث الجوازات والجنسية . . والمباحث الفيدرالية للتأكد من أن هذا الزواج صحيح ومضبوط . . وتم عن طريق سليم . . وأن الزوجين يعيشان مع بعضهما . . ولم يتم من أجل الحصول على الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة الأمريكية . . ! !

المهاجرون فى أمريكا . .

هل تعرف شيئاً عن حياة المصريين والعرب المهاجرين إلى أمريكا . . والذين يعيشون هناك منذ سنوات طويلة . . ؟

أعتقد أنه من الواجب أو الضرورى أن تعرف شيئاً . . أو تأخذ فكرة عن حياة هؤلاء المهاجرين . . كيف يعيشون . . وماذا يعملون . . وماذا يمتلكون . . وهل هم موفقون فى حياتهم وسعداء فى معيشتهم . . ؟

طبعاً . . بل من غير المعقول أن أتكلم أو أتحدث عن حياة كل المهاجرين الذين اختلطت بهم . . أو عرفتهم . . أو عاشرتهم . . أو صادقتهم . . أو كانت تربطنى

٦٦ صداقة . .

لقد عشت بمدينة نيويورك سنوات طوالاً . . وكنت أصدر هناك صحيفة أسبوعية تنطق باللغة العربية . . وعن طريق هذا العمل كانت لى صداقات . . ومعارف كثيرة جداً بأبناء مصر وغيرهم من أبناء الدول العربية الأخرى . .

ولقد عاشرت كثيراً منهم عن قرب . . وعرفت الكثير عن حياتهم . . وأعمالهم . . ومعيشتهم والأعمال التى يتاجرون فيها . . وحياتهم العامة والخاصة . . وشعور كل أبناء دولة تجاه أبناء الدول الأخرى . .

وفى هذا الفصل من الكتاب سوف أتناول بعض النواحى . أو الأشياء التى يمكن أن تكتب أو تقال . . أو يهم القارئ معرفتها . . .

أما الجوانب الأخرى فإنى أحتفظ بها لنفسى . . !

والآن نتحدث عن حياة المهاجرين . . كيف يبدأ الواحد منهم حياته بالمدينة . . أو الولاية التى يعيش فيها بالولايات المتحدة الأمريكية . .

كيف يعيش . . ؟

وماذا يأكل . . ؟

وكيف يقضى أوقاته . . أو راحته الأسبوعية . . ؟

وهل يستطيع «المهاجر» تكوين ثروة من المال . . ؟

ومتى يوفر هذا المال . . ؟ وفى أى شىء ينفقه . .؟

وهل هناك من المصريين . . أو العرب من لديه ثروة أو ثروات ضخمة . . ؟

وهل هناك أيضا من المهاجرين من هو صاحب نفوذ . . أو سلطان . أو يتمتع بسمعة طيبة فى المجتمع الأمريكى . . ؟

أولاً : وقبل أن أجيب على كل هذه الأسئلة أقول لك إننى سوف أضع أمامك

كل الحقائق مجردة ودون مجاملة أو تحامل . لأن الذى يهمنى هو أن أذكر كل الحقائق والوقائع التى رأيتها بنفسى . . وعشت كل أحداثها بين عدد كبير جداً من المهاجرين طوال السنوات التى عشتها فى الولايات المتحدة الأمريكية . .

لقد شرحت لك - فى فصل من هذا الكتاب - أن قريبك أو صديقك الذى سوف تنزل عليه «ضيفاً» لن يتحملك أكثر من بضعة أيام . . وأنه سوف يتأفف ويضيق بك بعد فترة . . وفى النهاية سوف يصارحك بشعوره من ناحية إقامتك عنده . .

فالحياة فى أمريكا تختلف تماماً عن الحياة فى مصر . . كل دقيقة تمر لها ثمن . . وهذا الثمن يدفعه الإنسان من أعصابه . . وعرقه . . ودمه . . وماله . . ووقته . . ولا مجال هناك أبداً لشيء اسمه «المجاملة» .

كما أنه ليس فى قاموس الحياة بين الناس هناك شيء اسمه . . «الشهامة» أو «الجدعنة» . . أو الكرم . .

كل هذه الكلمات . . أو المسميات يجب أن تنساها تماماً بمجرد وصولك إلى أرض المطار فى المدينة التى ستعيش فيها بالولايات المتحدة الأمريكية . .

وإذا حدث وسمعت شيئاً غير ذلك فإنى أجزم لك أن هذه تعتبر حالة شاذة جداً لم أسمع عنها أبداً طوال حياتى فى أمريكا . . ومعاشرتى لآلاف من المصريين والعرب المقيمين هناك . . !

والآن ندخل فى : كيف يعيش المهاجر . . ؟

إذا كان المهاجر بمفرده يعنى «أعزب» فإنه يبحث عن بيت من «بيوت الشباب» ليعيش فيه . .

إن بيوت الشباب منتشرة فى جميع المدن والولايات الأمريكية . . وهى عبارة

عن عمارة كبيرة مكونة من عدة طوابق . . وكل طابق فيه أكثر من غرفة . . والغرف يختلف بعضها عن بعض . . «بمعنى» أن هناك غرفة بحمام مستقل . . وهناك غرفة أخرى بحمام مشترك . وكل غرفة من هذه الغرف يختلف سعرها عن الأخرى بضعة دولارات . . والسبب أن بعض هذه الغرف يسكنها طلاب بعثات . . أو طلاب جامعات . . أو مهاجرون . . وسعر الغرفة يتراوح بين ثمانية دولارات وخمسة عشر دولاراً فى الليلة . . !

يعيش المهاجر فى «بيت الشباب» لفترة طويلة . أو قصيرة حتى يدبر حياته ويتوفر لديه مبلغ من المال يستطيع به استئجار شقة من غرفتين ، أو ثلاث أو أكثر حسب عدد أفراد أسرته إذا كان متزوجاً ويعتزم إحضار زوجته وأولاده . . ويستمر المهاجر فى حالة قلق دائم حتى تستقر أوضاعه المعيشية وقد تطول هذه الفترة لمدة عام أو عامين . . وقد تقصر حسب ظروف عمله والوقت الذى يسمح له بإنهاء كل شىء . .

وعندما يبدأ المهاجر – إذا كان متزوجاً – فى الاستقرار من ناحية السكن . تبدو له متاعب أخرى وهى : البحث عن عمل لزوجته حتى تساعده من الناحية المادية فى حياته والتعاون معاً فى توفير مبلغ كبير من المال فى أقل وقت ممكن . . وهذا هو حال عدد كبير جدًّا من المهاجرين . . إن لم يكن كلهم . . فكل مهاجر يسعى جاهداً ويعمل بوظيفتين فى يوم واحد . يخرج من عمل إلى عمل بقصد توفير ثروة كبيرة من المال فى أقل وقت ممكن حتى يبدو فى نظر نفسه أحسن من غيره أولاً . .

ثم من ناحية أخرى للتفاخر بين أصدقائه – سواء هو أو زوجته – بأنه يريد شراء منزل . . أو محل تجارى . . أو الدخول فى مشروع يستثمر فيه أمواله . . وهذا ما يدفع كل المهاجرين إلى أن يعيش الواحد منهم حياة ضئيلة جدًّا فى معيشته سواء

فى ناحية المأكل . . أو الملابس .

وقد لا أبدو مغالياً إذا قلت إن عدداً كبيراً جدًّا من المهاجرين يعيشون حياتهم على تناول وجبات « الفول المدمس » والأكلات الشعبية الأخرى التى كانوا يعيشون عليها فى مصر . أو فى بلادهم . . ويحرمون أنفسهم من تناول وجبات أخرى كثيرة . . بالإضافة إلى حرمان أنفسهم من الخروج للفسحة أو المتعة . . أو ارتياد دور السينما والملاهى . . أو قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى أى مكان بالمدينة التى يعيشون فيها . . أو خارجها كما يفعل الأمريكان . . أو غيرهم من المهاجرين من رعايا الدول الأخرى . .

ولا أكون مغالياً أيضاً إذا قلت إن هناك عدداً كبيراً جدًّا من المهاجرين يعيش الواحد منهم فى مدينة ويعمل فيها دون أن يعرف عن معالمها أو مرافقها أو متاحفها أى شىء . . وإذا سألت الواحد منهم عن شىء قال لك : لا أعرف . . ! !

وإذا أبديت له تعجبك من عدم معرفته كان رده : « مفيش وقت للفسح » ! !

وإذا سألته عن الفترة التى مضت عليه فى المدينة التى يعيش فيها أجابك بأنها سنوات مثلاً . . ! !

مهاجر مذهول . . !

لقد حدث مرة أن التقيت فى أثناء سيرى بالطريق فى أحد شوارع مدينة نيويورك بأحد المصريين من أبناء مدينة الإسكندرية وكنت أعرفه من قبل . أو كنت قد تعرفت عليه منذ شهور قليلة عند زيارتى لأحد الأصدقاء فى

نيويورك . . وأخذت أتحدث معه عن أحواله وعن معيشته . ثم سألته عن وجهته فقال : والله أنا مروّح . . لقد انتهت فترة عملى اليوم – وكان يوم أحد – وكفاية نص يوم . .

وسألته : هل تعمل فى أيام العطلات الأسبوعية وهى يوما السبت . والأحد . . ؟

أجاب – طبعاً . . إن أكثر المهاجرين يعملون فى هذين اليومين . . ! !

وسألته : هل لديك مانع من مرافقتى فى السير للتحدث بدلاً من وقوفنا هكذا . . ؟

وسألنى هو بدوره : إلى أين أنت ذاهب الآن . . ؟

قلت : إن لى رغبة فى مشاهدة فيلم أو مشاهدة متحف . . أو زيارة بعض الأماكن التى لم أشاهدها من قبل . .

وبعد أن انتهيت من كلامى قال لى : طيب ، أستأذن أنا لأننى غير مستعد . . !

وسألته فى تعجب : ما هى الاستعدادات التى يمكن أن تتوفر لديك . . أو هى غير متوفرة عندك حتى تستأذن فى العودة إلى منزلك . . ؟

قال : بصراحة كل ما فى جيبى هو ثمن تذكرة الأتوبيس . . ! !

وابتسمت . . وأنا فى نفس الوقت اتعجب لمثل هذا الإنسان . . ودعوتى له إلى مرافقتى . . وأصررت على طلبى . . وسألنى عن الجهة أو المكان الذى سنذهب إليه . .

لقد صحبته فى جولة استغرقت بضع ساعات عاش خلالها فى ذهول وكأنه إنسان قروى يرى المدينة لأول مرة فى حياته !

كان أول شيء صحبته إليه هو زيارة مبنى صحيفة «الديلي نيوز» وهي كبرى الصحف اليومية الأمريكية التي تصدر بمدينة نيويورك.

إن إدارة الصحيفة تسمح لجماهير الناس بمشاهدة مدخل الصحيفة.. وأعتقد أن هذا يكفي جداً لتقع عينيك على بعض معالم الدنيا واضحة أمامك وبارزة.. ومتحركة بالأجهزة الإلكترونية..

أما داخل المبنى فيمكن أن تدخله في حالة الزيارة لأي محرر.. أو في مهمة صحفية مثلاً..

ثم ذهبنا بعد ذلك إلى مبنى الأمم المتحدة. وهو قريب من مبنى صحيفة «الديلي نيوز» ودخلت الجزء المسموح بزيارته لكل الناس وهو عن طريق تذاكر تباع في داخل المبنى..

لقد شعرت بحرج كبير جداً عندما كان صديقنا هذا يبدي دهشته وذهوله لكل شيء تقع عليه عينه.. وكنت أطلب منه أن يخفض من صوته حتى لا يكون ملفتاً للنظر بالنسبة للناس.. وحتى لا يكون سخرية لمن يعرف اللغة العربية من الموجودين.

وأردت أن أجعله أكثر دهشة وذهولاً فسألته عما إذا كان قد صعد إلى أكبر ناطحةسحاب في العالم والموجودة بمدينة نيويورك والمعروفة باسم «الأمبايرستيت»؟

فأجاب: أبداً والله.. ولا أعرف حتى أين هي..!!

وتولتني الدهشة فسألته: كم مضى عليك من الزمن وأنت تعيش في مدينة نيويورك.؟

أجاب عامان ونصف عام.!!

وتوقفت عن السير وقلت له متعجباً: بتقول ايه.. كام.. سنتين ونص ولم

تشاهد كل ذلك . . حتى «الإمبايرستيت» لا تعرف أين هى؟!!

وأقسم بالله مرة أخرى أنه لم يشاهد أى شىء مما رآه الآن . . ولا العمارة الكبيرة -كما سماها- والتى نحن فى طريقنا إليها!!

وذهبنا إلى ناطحة السحاب . . ودخلنا المبنى . . وتقدمت نحو طابور الواقفين لشراء تذاكر الصعود إلى أعلى ناطحة سحاب . . وجاء دورى واشتريت تذكرتين لى وله : ودخلنا المصعد إلى أن وصلنا إلى الدور الخمسين . . ثم نزلنا وذهبنا إلى مصعد آخر ودخلنا ليوصلنا هذا المصعد الثانى إلى نهاية المبنى . .

وكاد قلب صاحبنا هذا أن يتوقف عن الحياة لمجرد أن صعد مصعدين . .

لقد تولاه ذهول . . ودهشة . . وكان فى حالة غريبة وكأنه إنسان غريب عن الأرض . . أو يعيش على كوكب آخر وبين قوم لا يعرف عنهم شيئاً . .

وأردت أن أخرجه من ذهوله فسألته : إيه ، مبسوط . . ؟

قال وهو يتطلع ببصره من الشرفة الكبيرة بأعلى المبنى فى الدور الواحد بعد المائة ليرى جزءاً كبيراً من مدينة نيويورك . . ويرى الناس والسيارات على الأرض كأنهم ديدان تتحرك : إيه ده . . أ نا فى حلم . . والا فى علم . . الله يخليك يا أمريكا . . !!

وضحكت لهذه السذاجة التى يعيش عليها هذا الإنسان . . وفى نفس الوقت رثيت لحاله . .

وبعد أن انتهت جولتنا سألته :

لماذا لا تخصص يوم الأحد من كل أسبوع للراحة من العمل . . والخروج لمشاهدة معالم المدينة . . ؟

فأجاب : أى والله فعلاً لازم . . بس بيني وبينك «الفلوس» . . !

وسألته : فلوس إيه . . ؟

قال : يعنى يوم زى دا سوف أصرف فيه حوالى عشرين دولاراً . يعنى أجر نصف يوم . . أنا أولى به . . ممكن أدخره زى غيرى ما بيعمل .

قلت له : وهل أنا مجنون مثلاً عندما فعلت ذلك الآن . . ؟

ضحك وقال : ياعم ربنا يخليك لنا . . وعقبال المرّة الجاية إن شاء الله . . ! !

الادخار . . والتجارة . . !

وأعود مرة أخرى إلى سؤال ، هو : إلى أى مدى يستطيع « المهاجر » تكوين ثروة . . أو جزء كبير من المال يستطيع به الدخول فى مشروع – أو فتح محل تجارى كما هو حال عدد كبير من المهاجرين المصريين والعرب . . ؟

والجواب هو : هناك من المهاجرين من استطاع تكوين مبلغ كبير من المال يصل إلى عشرة آلاف دولار تقريبا فى عامين . . ! !

وربما تشهق وأنت تقرأ هذا الرقم وتقول فى نفسك هل هذا معقول . . ؟

وأقول لك : نعم معقول . . والأمثلة على ذلك صاحبنا الذى يحرم نفسه من كل شيء من أجل التوفير . وربما هو لا يزال يعمل ولم يدخل مجال التجارة مثل كثيرين غيره ، لأنه « خائف » – كما ذكر لى فى حديثه – أن تضيع ثروته . . أو يفشل فى تجارته !

ولكن هناك أيضا كثير من المهاجرين المصريين والعرب استطاعوا بثروتهم . . أو بالأموال التي ادخروها فتح محال تجارية في المدن التي يعيشون فيها بالولايات المتحدة الأمريكية . .

وتسألني . . ما هي هذه المحال . . وما هي التجارة التي يعملون فيها . . وهل هؤلاء المهاجرون كانوا في الأصل يعملون بالتجارة . . ؟

والجواب : أولا . . تسعون في المائة – ولا أريد أن أقول لك مائة في المائة – من المهاجرين المصريين الذين يعملون بالتجارة ولهم محال تجارية من خريجي الجامعات المصرية . من بينهم خريجو كليات الحقوق . . والتجارة . . والزراعة والآداب . .

وربما تسأل أيضاً : هل هذا معقول خريجو الجامعات يفتحون أو يعملون بالتجارة . ؟

والجواب : نعم معقول جداً وهذا هو عين الصواب . . أو الوضع السليم . . لعدة أسباب . .

أولا : الشهادة هناك ليس لها أي قيمة مادية أو معنوية . . حتى شهادة بكالوريوس الطب . . غير معترف بها هناك إلا إذا قام الحاصل عليها بعمل « معادلة » في إحدى الجامعات الأمريكية . . ! ! وكذلك شهادة بكالوريوس الهندسة !

إن القيمة الحقيقية للإنسان هي في العمل . . وفي المقدمة إجادته اللغة الإنجليزية التي تعتبر عاملا هاما وفعالا للحصول على أي وظيفة يمكن عن طريقها أن يعيش كريماً . .

أما عن نوع التجارة التي يقوم بها معظم أو كل المهاجرين تقريباً فهي :

محال البقالة العربية . . !

نعم . . يوجد فى جميع المدن الأمريكية وفى جميع الولايات المتحدة ، الأمريكية محال بقالة عربية فيها كل ما يخطر على بالك . . وما لا يخطر على بالك من بقالة . . وعطارة . . وحلوى مثل التى تراها فى جميع محال البقالة والعطارة والحلوى فى مصر . . بل أكثر . ! !

فى مدينة نيويورك مثلا وهى مدينة تعتبر ثانى مدن العالم – بعد مدينة طوكيو عاصمة اليابان – ازدحاما بالسكان . . بالإضافة إلى أنها مدينة ضخمة جداً . . وضواحيها مترامية الأطراف وشاسعة جداً . . فى هذه المدينة الرهيبة يوجد عدد كبير جداً جداً من محال البقالة العربية . . وأقصد بكلمة العربية . . أن أصحابها إما مصريون . . أو من أبناء الدول العربية الأخرى . . ويوجد من بين كل هذه المحال التى يزيد عددها على بضعة آلاف فى مدينة نيويورك وحدها « محل واحد » كبير جداً صاحبه لبنانى الأصل وهو يقع فى شارع اتلانتيك بحى بروكلين . . هذا المحل قديم جداً بمعنى أن صاحبه قد افتتحه منذ أكثر من خمسين عاماً . . وعندما توفى تولى أولاده وهم أمريكان – ويعرفون العربية باللهجة اللبنانية بحكم تربيتهم أو اختلاطهم بالعرب – إدارة المحل . . .

هذا المحل الضخم يقوم باستيراد جميع أنواع البقالة . . والعطارة . . والمعلبات من الشركات المصرية بالقاهرة . . بالإضافة إلى أنواع أخرى من البقالة والمعلبات من لبنان . . وتونس . . والمغرب . . وسوريا . . والعراق . . وبقية الدول العربية . . وآسيا حتى الهند . . وتقوم المحال العربية الأخرى الموجودة فى مدينة

نيويورك وبقية المحال العربية المنتشرة فى جميع الولايات المتحدة الأمريكية بعملية استيراد وشراء ما يلزمها من هذا المحل . .

و « اتلانتيك أفنيو » وهذا هو اسم الشارع الذى يقع فيه هذا المحل . . يوجد فيه أيضاً عدد آخر من المحال والمطاعم العربية .

ولذلك : فأنت عندما تذهب إلى هذا الشارع فإنك تشعر بأنك تعيش فى بلدك . أو فى أى حى من أحياء وطنك مهما تكن جنسيتك . . لأن أول شىء سوف يقابلك ويرن فى أذنيك هو . . « اللغة العربية » التى سوف تسمعها من عدد كبير من الناس الذين يسيرون فى هذا الشارع أو الشوارع القريبة منه .

إن الشىء الذى قد يذهلك أيضاً : هو أنك إذا ذهبت إلى هذا الشارع فى يوم السبت . . أو يوم الأحد وهما يوما العطلة الأسبوعية فى أمريكا . . فإنك ولا شك ودون مبالغة سوف تقابل أى واحد من أصدقائك . . أو معارفك . . أو ربما أقاربك الذين تعودوا الذهاب إلى هذه المحال لشراء ما يلزمهم . أو حاجيات المنزل كل أسبوع . .

ولا تتعجب أيضاً إذا قلت لك إن من بين هذه المحال سوف ترى محالاً أخرى تبيع منتجات خان الخليلى من الخاتم الفضة الغالى والرخيص والصفيح . . حتى الصوانى الخشب المطعمة بالصدف . . والترابيزات والكراسى الأرابسك . . والطربوش الأحمر أبو زر أسود . ! !

ولن أكون مبالغاً إذا قلت لك إن هذا الشارع فى حى بروكلين له مكانة وأثر كبير فى نفوس المصريين والعرب . . بل إنه يعتبر من أهم الأشياء فى حياتهم ليس لأن فيه محال بقالة عربية فقط . . بل أزيد على ذلك فأقول : إنه يوجد فى هذا الشارع أيضاً : أكثر من « مخبز عربى » يبيع العيش البلدى الطازج . . وجميع

أنواع الخبز البلدى والإفرنجي . . كما أنه يشوى لك السمك إذا أردت ذلك أيضا . .

وهناك من بين هذه المحال العربية بعض المحال التى يمكن أن تشترى منها . . الفسيخ . . والسردين . . « والمرتة » التى تستخرج من السمن البلدى . . ! !

وفى نهاية « أتلانتيك أفنيو » أو شارع أتلانتيك بحى بروكلين توجد سينما تعرض أفلاما مصرية يومى السبت . . والأحد . . من كل أسبوع . . وكذلك فى المواسم والأعياد . .

هذه السينما يملكها رجل أمريكى . . ولكن هناك رجل لبنانى الأصل يعيش فى نيويورك منذ حوالى خمسين عاما يقوم باستئجار هذه السينما يومى السبت والأحد من كل أسبوع لعرض الأفلام المصرية التى يتعاقد عليها مع بعض الموزعين المصريين بالقاهرة . . ويبيع التذكرة لدخول السينما ومشاهدة العرض بمبلغ ثلاثة دولارات يعنى حوالى (٢١٠) مائتين وعشرة قروش بالسعر الرسمي . . و ٢٢٥ بسعر السوق السوداء . ! !

والسينما كبيرة جداً . . وتسع حوالى ألفى شخص . . وتعرض ثلاث حفلات فى اليوم من الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل . . !

والشيء الغريب الذى سوف تدهش له هو أن المصريين والعرب الذين يدخلون هذه السينما . . برغم وجودهم فى أمريكا . . وفى بلد متحضر جداً . . وبين شعوب مختلفة من جميع جنسيات العالم . . إلا أنهم مازالوا كما هم عليه من طباع فى بلادهم . . يعنى : وأنت جالس فى السينما سوف ترى . . وتسمع « قزقزة اللب » وإلقاء القشر على أرض السينما . ! !

ثم التريقة على بعض مواقف الفيلم . . أو الممثلين والممثلات . . أو الصياح

وإطلاق الصفافير عند لقطة فيها قبلة . . !

وليس غريباً أيضا عندما تسمع كلمة إعجاب . . أو استحسان من شخص جالس . لفتاة أو سيدة تمشى فى طرقة السينما فى طريقها للبحث عن مقعد . ! !

وعندما ينتهى عرض الفيلم ويخرج الجميع من دار السينما تسمع أيضا من ينادى على قريب له أو صديق . . أو زميل بأعلى صوته « تماما » مثلما يحدث فى دور عرض الدرجة الثالثة فى بعض أحياء مدينة القاهرة . . ! !

نسيت أن أذكر لك من بين ما يجب أن أذكره وهو أنك عندما تخرج من دار السينما تشاهد أيضا « رجلا » يجلس وأمامه كميات كبيرة من الصحف والمجلات المصرية . والعربية . .

إن هذه الصحف والمجلات يتولى توزيعها رجل لبنانى يعيش فى مدينة نيويورك منذ حوالى أربعين عاما . . ويساعده فى محله ونداه . وهم أمريكيان . ولكنهما يتكلمان اللغة العربية باللهجة اللبنانية . . وهذا الرجل يمتلك « محلا » فى شارع أتلانتيك يبيع فيه الأسطوانات والشرائط المسجلة عليه جميع الأغانى العربية . . والكتب العربية أيضا سواء كانت كتب أدب . . أو فلسفة أو دين . . أو غراميات . . وتستطيع وأنت فى هذا المحل أن تشترى كل الصحف والمجلات التى تطبع فى الدول العربية . . أما الصحف المصرية فلا يوجد منها غير « صحيفتى الأهرام » التى تصدر يوم الجمعة . . و « أخبار اليوم » التى تصدر يوم السبت . . ثم جميع المجلات الأسبوعية .

إن صحيفتى الأهرام . . وأخبار اليوم . . تصلان إلى هذا المحل – الذى يتعهد بيعها – يوم الاثنين من كل أسبوع أى بعد صدورهما بأيام قليلة . .

وأستطيع أن أقول لك إن هذا المحل يقوم بتوزيع كميات كبيرة من هذه الصحف والمجلات على جميع المحال العربية فى مدينة نيويورك وبعض الولايات الأخرى ليشتريها المصريون والعرب المقيمون فى هذه المدن من المحال العربية التى يتعاملون معها . . أو يشترون منها حاجياتهم . . ! !

الجاليات العربية . .

يوجد فى مدينة نيويورك – وهى تعتبر أكبر مدينة أمريكية ازدحاما بالسكان – عدد من الأندية العربية التى تجمع شمل أبناء هذه الدول . .

يعنى مثلا : يوجد ناد لأبناء لبنان . . وآخر لأبناء اليمن . . وثالث لأبناء المغرب . . وهكذا . .

كل رعايا دول العالم الذين يعيشون فى مدينة نيويورك لهم أندية يجتمعون فيها كل أسبوع . . أو كل ليلة . . أو كل عدة أيام . .

المهم : أنه ناد يجمع شمل الكثير منهم . . وعن طريقه يتعرف بعضهم على بعض ويناقشون قضاياهم الخاصة والعامة . والمتعلقة بشئون وطنهم . .

هذه الأندية ليست على مستوى الأندية الفاخرة التى نعرفها . . كما أنها ليست أيضاً على مستوى أندية بعض أبناء الدول الأوربية أو غيرها من أندية الدول

الأخرى من حيث التأثيث . . واختيار المكان . . أو مستوى الشقة . . أو جودة ما يقدم فيها من طلبات سواء المأكل أو المشرب . . ولكنها كلها تقريباً – باستثناء بعضها – أشبه بالمقاهى .

ولذلك : فإن هذه الأندية لا يتردد عليها إلا بعض الناس الذين يذهبون بقصد التسلية . . أو تضييع الوقت . . أو معرفة أخبار غيرهم . . أو بلادهم . . أو . . لعب الكوتشينة . و . . القمار . ! !

وقد حدث أكثر من مرة أن هاجم بعض اللصوص أحد الأندية العربية فى حى بروكلين – ويبدو أن اللصوص كانوا يعرفون أن رواد هذا النادى يلعبون القمار – واستولوا على مبالغ كبيرة من الدولارات التى كانت موجودة على مائدة اللعب . . كما سرقوا أيضا متعلقات بعض الأشخاص من الذين يلعبون مثل ساعات اليد . . أو خواتم ذهب . . وطبعا لم يبلغ أحد من الموجودين رجال الشرطة بالحادث حتى لا ينكشف أمرهم . .

والغريب : أن هذه الحادث قد تكرر فى اليوم التالى مباشرة حيث هاجم اللصوص نفس النادى واستولوا على مبالغ كبيرة أخرى من الدولارات من الموجودين ثم هربوا دون أن يتعرض لهم أى واحد من الموجودين .

وقد ترك هذا الحادث أثراً كبيرا فى نفوس أعضاء النادى من أبناء هذه الدولة العربية وانقسموا على أنفسهم . . فريق منهم طالب بإغلاق النادى نهائياً .

وفريق ثان طالب بالانتقال إلى مكان آخر . .

وفريق ثالث طالب بطرد الأعضاء الذين كانوا يلعبون القمار . .

وفريق رابع طالب بوضع بعض الأسلحة فى النادى . . وتفرغ بعض الأفراد لحماية النادى من هجمات اللصوص . .

وانتهت كل هذه المناقشات أو الآراء المختلفة إلى أن النادى أصبح لا يتردد عليه أحد من أبناء هذه الدولة العربية . . وتفرقوا إلى أندية عربية أخرى . .

وتسألنى : هل هناك نادٍ للمهاجرين المصريين . . ؟

والجواب : بكل أسف لا يوجد فى مدينة نيويورك بالذات نادٍ للمصريين . ! !

هل تعرف ما هو السبب . . ؟ أقول لك :

عندما كنت أعيش فى مدينة نيويورك جاءنى عدد كبير من أبناء وطنى مصر ، وطلبوا منى أن أسهم بالدعوة والإعلان عن إنشاء نادٍ للمصريين . . وسبب هذه الدعوة أننى كنت أصدر هناك صحيفة عربية أسبوعية كانت توزع فى عدد كبير من الولايات الأمريكية . .

وفعلا قمت بالواجب الذى يتحتم علىّ القيام به . . بل زدت على ذلك بأن أجريت اتصالات شخصية مع عدد كبير من الشخصيات الكبيرة من المصريين الذين يعملون بالأمم المتحدة وغيرهم من الأطباء والعلماء والموظفين فى الحكومة أو المؤسسات الأمريكية المختلفة . . وقد أبلغت ذلك كله إلى الإخوة الذين اتصلوا بى . . كما قمت بإبلاغ سفيرنا لدى الأمم المتحدة الدكتور عصمت عبد المجيد الذى رحب بالفكرة وتحمس لها جداً . .

وبناء على كل ذلك تحدد موعد للاجتماع وأعلنت عنه فى صحيفتى التى كنت أصدرها . . وفى الموعد المحدد للاجتماع حضر عدد كبير جداً من المصريين المهاجرين . . والمقيمين بمدينة نيويورك . . وحدثت مناقشات طويلة جداً انتهت إلى تأجيل الاجتماع لموعد آخر يتحدد فيما بعد ويعلن عنه فى صحيفة « الشرق الأوسط » التى كنت أصدرها .

هل تعرفون لماذا انتهى الاجتماع إلى لاشىء . . ؟ أو بمعنى آخر . . هل تعرفون لماذا حدثت « فركشة » بين الموجودين . . وشعر بعضهم أنه أخطأ بحضوره هذا الاجتماع ودخوله فى مناقشات مع بعض الأشخاص الذين لا يعرفهم من قبل . . ؟

لقد كانت المناقشات كلها تدور حول من يكون رئيس النادى . . ؟

وتبين للأسف . . أن عدداً كبيراً من الموجودين يريد أن يكون هو ، أو يرشح نفسه رئيسا للنادى . .

وتأجل الاجتماع . . وأعلن عن موعد الاجتماع الثانى ، وحضره عدد أقل من العدد الأول . . ودارت مناقشات مرة أخرى حول هذا الموضوع . . وانتهت إلى اختيار سفيرنا لدى الأمم المتحدة الدكتور عصمت عبد المجيد رئيسا شرفياً للنادى . .

ولكن : حدث خلاف آخر وهو : كيف يكون ، أو يتكون أعضاء مجلس إدارة النادى . . ؟

هل يكون أعضاء مجلس الإدارة من المؤسسين وهم أصحاب الدعوة إلى عقد هذا الاجتماع . .

أو من غيرهم من الذين يتولون وظائف مرموقة فى المجتمع . . ؟

ودارت مناقشات طويلة مرة أخرى انتهت إلى تأجيل الاجتماع . . ؟

واتفق على موعد ثالث للاجتماع يعلن عنه عن طريق صحيفتى . .

وعقد الاجتماع الثالث . . وحضره عدد أقل من الأشخاص الذين حضروا الاجتماعين الأول والثانى . .

ودارت مناقشات أخرى فى هذا الاجتماع . . ليس من أجل اختيار أعضاء مجلس الإدارة . . ولكن من أجل . . هل يكون مقر النادى مدينة « جيرسى سيتى » وهى عاصمة ولاية نيوجرسى . . أقرب ولاية أو مدينة لمدينة نيويورك حيث يحتشد

فيها عدد كبير من المهاجرين المصريين . ؟

أو يكون مقر النادى مدينة نيويورك حيث يوجد أيضا عدد كبير آخر من المهاجرين المصريين ؟

وانتهى الاجتماع إلى تعصب كل فريق إلى أن يكون مقر النادى فى المدينة التى يقيم فيها . . !

وغضب عدد من الموجودين واعتبر أن هذا العمل « شغل عيال » وانصرف . .

وانصرف بعضهم الآخر على أمل أن يعاود الدعوة إلى فكرة إنشاء نادٍ . .

وانصرفت أنا الآخر وفى نفسى آلام من هذه التصرفات الصغيرة من بعض الصغارِ والتى كانت سبباً فى عدم وجود نادٍ مصرى فى مدينة نيويورك حتى هذه اللحظة . . !

نماذج ناجحة . . !

أعتقد أنى مادمت قد تحدثت عن المصريين وعن فكرة إنشاء نادٍ فى مدينة نيويورك وعن الشخصيات المصرية الموجودة فى هذه المدينة الكبيرة الضخمة ، فمن الواجب أن نتحدث عن بعض المصريين الموجودين فى نيويورك . . أو بعض الولايات الأمريكية من الذين برزوا فى المجتمع الأمريكى وأصبح لهم مكانة كبيرة بين الناس سواء من أبناء وطنهم . . أو من أبناء الجنسيات الأخرى . . وخاصة الأمريكان . .

من بين هؤلاء أطباء : . وتجار . . وغيرهم . . أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر طبيبا مصرياً وهو من أبناء مدينة المنصورة دقهلية .

لقد اتصل بى هذا الطبيب ذات يوم عندما كنت أقيم فى مدينة نيويورك « تليفونياً » وكان هو – وأعتقد أنه مازال يقيم فى مدينة « فيلادلفيا » وهى ولاية

تبعد عن مدينة نيويورك حوالى ثلاث ساعات أو أكثر بالسيارة . وأبدى إعجابه بالصحيفة التى كنت أصدرها . . ثم دعانى لزيارته . . وأعطانى عنوانه . . وبعد أيام كنت فى فيلادلفيا . . وعندما نزلت من السيارة اتصلت به تليفونياً وأبلغته بحضورى . . والمكان الذى أنا موجود فيه . . ثم أعطيته بعض أوصافى والملابس التى أرتديها حتى يسهل عليه معرفتى . . وجلست فى « كافتيريا » أحد المحال فى انتظاره . . وبعد دقائق دخل الكافتيريا رجل فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره يرتدى بدلة أنيقة وملامحه تبدو مصرية أصيلة . . وكان من السهل أن يتعرف كل منا على الآخر ونهضت أسلم عليه . . بينما أخذنى هو « بالأحضان » وانصرفت من « الكافتيريا » فى صحبته . . وبعد أن خرجنا إلى الطريق أشار بيده إلى سيارة « كاديلاك أسبور » حمراء مكشوفة كانت تقف فى جانب من الرصيف وقال لى : تفضل . . .

فتح باب السيارة . . واتجهت أنا إلى الناحية الأخرى وركبت بجواره واخترقت بنا السيارة بعض شوارع المدينة التى كنت أراها لأول مرة . . ثم وجدته يتجه إلى خارج المدينة – هكذا بدا لى عندما شاهدت الشوارع تخلو من البيوت . . وتظهر الكبارى العلوية والأنفاق التى لا حصر لها فى كل ولاية . .

وسألته : إلى أين . . ؟

قال : إلى المنزل . . إننى أقيم خارج المدينة . . ولكن ليس بعيداً كما قد تتصور أو تعتقد . . وبعد دقائق كانت السيارة قد وصلت بنا إلى ضاحية صغيرة من المدينة فيلادلفيا . . ودخلت السيارة هذه المدينة الصغيرة الجميلة الرائعة . . وفى أحد شوارعها شاهدت على بعد حوالى مائتى متر « جراجا » ملحقاً بإحدى الفيلات يفتح أبوابه دون أن يقترب منه أحد . . وفى نفس الوقت لمست أو لاحظت أن صديقى

الطبيب الذى أجلس بجانبه قد أدار أو وضع يده على زرار فى السيارة . . ولكن لم يكن يدور فى خاطرى أبداً أن هناك علاقة بين الزرار الموجود فى السيارة وبين فتح باب الجراج أوتوماتيكياً . . غير أننى تأكدت أن هناك علاقة بين الاثنين عندما شاهدت هذا الطبيب يعيد غلق باب الجراج ثم فتحه مرة أخرى عن طريق الضغط على الزرار الموجود بالسيارة . . تماما كما يفعل «جيمس بوند» فى أفلامه . . .

وسألته : ما هذا الذى تفعله . . هل أنت الذى تفتح «الجراج» ثم تعيد غلقه . . ثم تفتحه مرة أخرى . . ؟

قال : نعم . . ! ! وكانت السيارة قد اقتربت من الفيلا الأنيقة التى يسكنها هذا الطبيب . . وأدخل السيارة فى الجراج . . ثم أغلق الباب عن طريق جهاز يحمله فى جيبه . . وقبل أن يدخل باب الفيلا أخرج جهازاً آخر من جيب الجاكت الذى كان يرتديه ثم ضغط على زرار فيه فانفتح باب الفيلا . . ودخلت الفيلا وهو يرحب بى . . ثم قال لى بلغة ابن البلد : اعتبر البيت بيتك تصرف فيه كما تشاء ! !

ثم قال لى : لا تنس أن اليوم هو يوم السبت . . والطباخ إجازته الأسبوعية اليوم . . وغدا . . وسوف أقوم أنا بطهى بعض الأشياء التى أعرفها وأجيدها بسرعة حتى تنتهى أنت من مشاهدة الفيلا . . ثم اخلع ملابسك واسترح . ! !

وأخذت أتجول فى أنحاء الفيلا فإذا بى ألاحظ أن معظم الغرف خالية تماماً من وجود أى شىء فيها غير الجدران . . ؟ !

واتجهت إليه فى المطبخ أتحدث إليه وكأننى أعرفه منذ فترة طويلة . . وقلت له : هل هذه الفيلا ملك لك . . أو أنت مستأجرها . . ؟

قال : إنها ملكى طبعا . . !

قلت : كم مضى عليك من الزمن تقيم فيها . . ؟

قال : حوالى خمس سنوات . . !

قلت : ولماذا لا تضع فيها مفروشات . . إنها خالية تقريبا . . أين تنام . . وأين تجلس . . وأين تستقبل ضيوفك . . ؟

وضحك الطبيب المصرى الشاب وقال : تعال معى. . واصطحبنى بيده إلى الغرف الموجودة فى الفيلا . . وكان كلما يدخل غرفة من الغرف يقول لى : بقى دى فاضية . . أمال إيه دا . . ؟

ويضغط على زرار فى جانب من الحائط بجوار الباب فتنفتح جدران الحجرة ويخرج منها سرير . . ثم مقاعد . . وتسريحة كاملة . .

ويذهب إلى غرفة أخرى ويفعل نفس الشىء فيخرج من بين الجدران مقاعد وترابيزات ولعب . . تماما كما تشاهد فى أفلام جيمس بوند . !

وقلت له مازحاً : لعبة كويسة دى . . اذهب أنت إلى المطبخ واتركنى أتسلى مع هذه الزراير . . ! !

الغريب أنه بعد فترة قصيرة من الوقت لا تزيد على نصف ساعة كان ينادى على لتناول طعام الغذاء فى الحديقة . .

هل تعرفون ماذا أكلت . . وما هى أنواع الأطعمة التى قدمت لى على المائدة . . وتم طهيها فى دقائق . . ؟

ملوخية . . وبصارة . . وعدس . . وأرز . . وبعض اللحوم المشوية . ! !

المهم : أننى بعد أن فرغت من تناول الطعام والحلوى قال لى : هيا بنا . .

قلت : إلى أين . . ؟

قال : إلى المستشفى . . !

قلت : هل لديك عمل اليوم . .

قال : يمكن . . ! !

وركبت السيارة بجواره وانطلق إلى خارج الضاحية من جهة أخرى . . وعلى بعد مسافة قليلة شاهدت مبنى كبيرا وضخما فسألته : ما هذا المبنى . . ؟

قال : إنه المستشفى الذى سوف نذهب إليه . . !

ودخلت السيارة بنا إلى فناء المستشفى . وفوجئت أن هذا المستشفى الضخم الرائع . . النظيف جدا ملك لهذا الطبيب المصرى . . ! !

وبعد أن تجولت معه فى أنحاء المستشفى وشاهدت غرف العمليات وغرف المرضى وغير ذلك من الأجهزة المختلفة جلست معه فى غرفته وتحدثت معه عن ظروف مغادرته لمصر . .

قال الطبيب المصرى : إنه غادر أرض وطنه منذ حوالى عشرين عاماً بعد تخرجه بفترة قليلة من كلية طب قصر العينى . . وأنه وجد صعوبات كثيرة كانت تعترضه من أجل خروجه من مصر وقد قام بمحاولات كثيرة حتى تمكن من مغادرة مصر وجاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقال : إنه كان يعتقد أن حياته قد بدأت فى الاستقرار بعد وصوله إلى أمريكا ولكنه اكتشف أنه لا يمكن له أن يزاول مهنة الطب إلا بعد دخول امتحان « معادلة » فى إحدى كليات الطب فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد صادفته صعاب كثيرة جدا من أجل أن يعمل ويشتغل فى أى شىء حتى يستطيع أن يعيش مثل بقية البشر. وقد تحمل من أجل ذلك الكثير من التعب . . والسهر . . والإرهاق وكاد أن يفقد ثقته بنفسه . . ولكن إيمانه « بالله » دفعه إلى أن يتحمل

كل ما صادفه من متاعب وصعاب وأزمات مالية ونفسية حتى حصل على شهادة المعادلة . . ثم عين طبيباً فى أحد المستشفيات . وظل يعمل ويواصل الليل بالنهار ولا يعطى لنفسه إلا القسط القليل من الراحة حتى وقف على قدميه . . ومع الثقة « بالله » وبالنفس استطاع أن يفتح عيادة باسمه . . ثم عيادة أخرى . . ثم . . هذا المستشفى . .

قلت له : هل والداك على قيد الحياة . . ؟

قال : إنهما يعيشان فى مصر . . وعلى وجه التحديد فى المنصورة . . وأعتقد أن سبب ما أنا فيه من سعادة الآن هو رضاؤهما عنى . . !

قلت : هل أنت متزوج . . ؟

قال : لم يكن عندى من الوقت ما يسمح لى بالتفكير فى الزواج . . أو البحث عن عروس . . !

وسألته : ألا تنوى الزواج بعد أن استقرت بك الأمور وهدأ كل شىء فى حياتك ؟ . .

أجاب : ومن قال لك إن كل شىء هادئ فى حياتى . . إننى مشغول دائما بعملى وبضرورة المحافظة على هذا الصرح الكبير الذى شيدته من دموعى وعرقى . . ومتاعبى . . وآلامى . . ومواصلتى العمل بالليل والنهار . . ولو شعرت أننى يجب أن أستريح فسوف يكون هذا بداية للفشل . . !

ثم قال وهو يهز رأسه : لعلك تعرف جيداً أن الحياة فى أمريكا تحتاج إلى العمل المتسمر . . فالعمل لا يقتل الإنسان . . ولكن « الفراغ » هو القاتل . . !

وانصرفت أنا وهو ، وركبنا السيارة حيث ذهبنا فى جولة داخل مدينة « فيلادلفيا » ليطلعنى على بعض معالمها ثم قال وهو يحدثنى عن حياته فى المدينة التى

يعيش فيها :

إننى هنا أعتبر الرجل الثانى فى الولاية . . أو المدينة بعد المحافظ . . والعمدة . !

قلت : كيف . . ؟

قال : إن علاقاتى بالناس قوية جداً . . بالإضافة إلى أننى أفعل ما لم يفعله أى طبيب آخر فى الولاية . . أو أى مدينة أخرى . ؟

قلت : ماذا تفعل . . ؟

قال : إننى أخصص يوما فى الأسبوع لعلاج المرضى « بالمجان » . . وأعتقد أن هذا شىء يعتبر « نجرافيا » أو من المستحيلات فى أمريكا . . أو أى بلد آخر فى أوربا . . !

وسألته : ألا تنوى العودة إلى مصر . ؟

قال : إننى أذهب إلى وطنى للزيارة « فقط » كل فترة من الوقت ..

ثم قال وهو يهز رأسه فى حزن : إن الذى حز فى نفسى هو معاملة رجال الجمارك بمطار القاهرة الدولى لى عند نزولى إلى أرض المطار . . لقد قاموا بإخراج كل محتويات الشنط التى كنت أحملها معى لا لشىء إلا لمجرد أنهم شاهدوا معى باسبوراً أمريكيا . . وأنا مصرى . . بالله عليك هل هذه معاملة . . ؟ . !

وبعد أن قضيت معه يوماً كاملا تركته وعدت ثانية إلى مدينة نيويورك التى أعيش فيها . . وبعد أيام التقيت فى منزل أحد الأصدقاء – أثناء زيارتى له – بطبيب مصرى آخر يعيش فى مدينة نيويورك وأخذت أتحدث معه فى موضوعات عامة ثم رويت له قصة الطبيب المصرى الذى كنت فى زيارته بمدينة فيلادلفيا . . وابتسم الطبيب وقال لى :

إن لى قصة مطابقة تقريباً لقصة هذا الزميل :

قلت : هل هناك إحراج لك لو سألتك عنها . . أو رويتها لى . . ؟

قال : عندما تخرجت فى كلية طب قصر العينى وبدأت إجراءات توزيعى على أحد المستشفيات وجدت أنهم قد « حدفونى » إلى الصعيد برغم أننى كنت متقدما ومتفوقاً . . وبدأت أجرى اتصالات كبيرة وواسعة مع بعض المسئولين حتى تم نقلى من الصعيد إلى العمل فى إحدى الهيئات . . وظللت أعمل بها فترة وأنا أعانى الكثير من بعض الناس المحيطين بى . . وقد سعيت خلال فترة عملى إلى السفر وجاهدت حتى حصلت على الموافقة بسفرى . . وعندما وصلت إلى مدينة نيويورك صادفت نفس المتاعب والإشكالات التى عانى منها زميلنا الموجود فى فيلادلفيا . . وبعد أن حصلت على شهادة المعادلة من إحدى كليات الطب فى مدينة نيويورك عينت طبيباً فى أحد المستشفيات . . وبعد سنوات قليلة أصبح فى يدى من الأموال ما استطعت به أن أفتح عيادة . . ثم عيادة أخرى فى حى آخر . . والآن يا صديقى تم الاتفاق بينى وبين زميلين آخرين وهما طبيبان أمريكيان على شراء قطعة أرض فى أرقى مكان بمدينة نيويورك لإقامة مستشفى ضخم سيكون جاهزاً تماما بكل مبانيه ومعداته خلال عامين . . !

وسألته : هل أسرتك تقيم معك هنا . . ؟

قال : إن والدى توفى منذ فترة طويلة . . ووالدتى تقيم فى القاهرة . . وأذهب لزيارتها كل فترة . . وقد تزوجت منذ فترة قصيرة من فتاة مصرية . .

ثم قال : إن لى شقيقاً يعيش هنا فى مدينة نيويورك – وهو توأم لى – ويعمل طبيباً نفسيا . . وله عيادتان هو الآخر . . ! !

لقد امتدت بى السهرة عند صديقى ونحن نتحدث عن قصص النجاح لكثير

من المصريين والعرب الذين يعيشون فى أمريكا . أو فى مدينة نيويورك . . ثم استأذنت فى النهاية لأعود إلى منزلى .

المعلم عبده . . !

بعد أيام من هذه السهرة التى قضيتها فى منزل صديق كنت أسير فى « شارع برودواى » وهو يعتبر من أهم وأكبر الشوارع بمدينة نيويورك . . ووقع نظرى على « لافتة » معلقة على باب المحل – وكان محلا لبيع الفاكهة – مكتوب عليها باللغة الإنجليزة « كليوباترا » . . واتجهت إلى المحل : . واقتربت من الأشياء المعروضة خارج المحل لكى يقع نظرى على صاحب المحل . . أو أحد العاملين فيه لأعرف من خلال وجوههم إذا كانوا مصريين أو عربا . . وفوجئت برجل قصير عمره حوالى ستين عاماً يتقدم منى ويقول لى باللغة العربية : حضرتك عربى . . ؟

وابتسمت وقلت له : أنا مصرى . . وأمسك بى وشدنى إلى داخل المحل . وفتح لى علبة كوكا كولا وهو يرحب بوجودى . . ثم سألنى عما إذا كنت موجوداً فى نيويورك ضمن المهاجرين . أو للزيارة . .

قلت له : إننى أقيم بمدينة نيويورك منذ سنوات . . ولم أترك له فرصة ليسألنى عن شىء قبل أن أعرف أنا قصة حياته . . أو شيئاً عن حياته . . خاصة وأننى قد لاحظت شيئاً أثناء وجوده بالمحل لفت نظرى . . هذا الشىء هو دخول رجل آخر إلى المحل وهو ينادى صاحبنا ويقول له : أخبارك إيه يا معلم عبده ! !

وانتظرت حتى انتهى الرجلان من الحديث وانصرف الضيف وكان يبدو من خلال حديثه أنه مصرى . . ثم سألت صاحب المحل :

إيه الحكاية « يا معلم عبده » . . !

قال : صلِّ على النبى .

قلت : اللهم صلِّ عليه . .

قال : أنا راجل أصلى « جاهل » لا أقرأ ولا أكتب . . ولكننى أتكلم اللغة الإنجليزية بس . . بحكم إقامتى الطويلة فى أمريكا . .

وسألته : كم من الزمن مضى عليك هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية . . ؟

قال : لقد تركت مدينة الإسكندرية مسقط رأسى منذ أكثر من أربعين سنة على ظهر مركب كنت أعمل عليه حمالا . . وشاهدت كل دول العالم من خلال عملى على ظهر المركب . . ثم أردت أن أستريح من تعب الشغل على المراكب فكان نصيبى الإقامة فى مدينة نيويورك . . !

قلت : هل تعيش فى هذه المدينة منذ أربعين عاما . . ؟

قال : بالضبط . . وقبلها كام سنة كده « لفة » حول دول العالم . . !

قلت : ماذا اشتغلت فى بداية حياتك فى هذه المدينة . . ؟

قال : دخلت الجيش الأمريكى وحاربت مع القوات الأمريكية فى بعض دول آسيا . . ولما انتهت مدة تجنيدى حصلت على مكافأة من الجيش . . ثم اشتغلت فترة « طباخا » فى بعض المطاعم . . ثم فتحت أكثر من محل خضراوات وفاكهة ولكننى كنت أبيع هذه المحال عندما أجد أمامى مكسباً فى أى محل . . !

قلت : هل تنوى الاستمرار فى هذا المحل . . أو ستبيعه هو الآخر . . ؟

قال : عايز تشترى . . ؟ !

وضحكت من رد المعلم عبده « الفهلوى » وقلت له : مجرد سؤال . .

قال : بينى وبينك أنا تعبت جداً من الشغل . . خاصة وأنا أعمل بمفردى فى

هذا المحل وأريد العودة إلى مصر لأعيش بقية حياتى بجوار أولادى . . !

وسألته : هل أولادك يعيشون فى مصر أو معك هنا . . ؟

أجاب : إنهم يعيشون مع والدتهم بمدينة الإسكندرية . .

ثم قال وهو يمط شفتيه فى حزن :

هل تصدق أننى لم أذهب إلى مصر منذ أكثر من أربعين سنة . . ؟ ! !

وتعجبت وسألته فى ذهول . . كيف ؟ .

قال : برغم وجودى فى أمريكا طوال هذه السنوات إلا أننى لم أحصل على الجنسية الأمريكية وطبعا لو خرجت من أمريكا لن أعود إليها مرة أخرى لأن القانون يمنع عودتى . . لأننى لست مهاجراً . . !

قلت : وما هو سبب عدم حصولك على الجنسية الأمريكية حتى الآن . وكان فى إمكانك الحصول عليها بعد خمس سنوات من إقامتك فى أمريكا . . ؟

أجاب : لقد اتهمت فى قضية وحكم علىّ بالسجن خمس سنوات . . وبعد خروجى من السجن بدأت الكفاح من جديد . . ! !

قلت : وما هى التهمة التى سجنت بسببها خمس سنوات . . ؟

قال : التهرب من دفع الضرائب . . ! !

قلت : ولماذا لم تدفع ضرائب للدولة مادمت تكسب من وراء عملك .

قال : فيه ناس كتير قوى حرامية . . واشمعنى أنا يعنى اللى راح أدفع .

قلت : وهل ما زلت حتى الآن تعيش على هذا المبدأ . . ؟

قال : لا خلاص . . كفاية السجن مرة . .

ثم ابتسم وهو يقول لى : عموما السجن للجدعان . . وأنا برضه رغم جهلى بالقراءة والكتابة إلا أن كل الناس عارفة أننى . . المعلم عبده . . ! !

نماذج غريبة . . ؟ !

لقد عشت طوال السنوات التى قضيتها بالولايات المتحدة الأمريكية . . أو فى مدينة نيويورك التى كنت أقيم فيها أختلط بكل المصريين والعرب . . فقد كان عملى الصحفى الذى كنت أزاوله يحتم علىّ ذلك . بالإضافة إلى أن طبيعتى هو حب التعرف بالناس . . ولقد صادفنى خلال هذه السنوات نماذج غريبة جدا من المهاجرين الذين اختلطت بهم لأعرف حياتهم عن قرب . .

أذكر مرة عندما ذهبت إلى مدينة نيويورك حديثا بعد « هروبى من مصر » أننى كنت فى أشد الحاجة إلى بعض الأوراق الخاصة بى والموجودة بالقاهرة . . وقد أرسلت إلى صديق لى أن يبعث بها إلىّ ، وأرسل لى هذا الصديق أكثر من رسالة يقول فيها إنه بعث لى بهذه الأوراق مع أحد المهاجرين منذ شهرين أو أكثر . . وكنت أعيش حياة قلقة وغير مستقرة بسبب عدم وجود هذه الأوراق التى أحتاج

إليها لتسليمها إلى « المحامى » الذى سيتولى قضية حصولى على الإقامة الدائمة فى أمريكا . .

وبعد فترة من التعب النفسى والقلق على مستقبل وجودى فى الولايات المتحدة الأمريكية . تلقيت رسالة عن طريق البريد من مواطن مصرى يعيش فى مدينة تابعة لولاية نيويورك يقول فيها : إنه يحمل لى بعض الأوراق الخاصة بى سلمها إليه صديق لى بالقاهرة . . وأن هذه الأوراق موجودة معه منذ أكثر من شهرين . أى منذ وصل إلى أمريكا . . غير أن ظروفه لم تمكنه من الكتابة إلىّ . . ولهذا فهو يبعث إلىّ بهذا الخطاب ليتأكد من وجودى فى هذا العنوان حتى يستطيع أن يرسل لى الأوراق . . !

لم أتمالك نفسى من السعادة والفرحة لوصول الأوراق . . غير أن سعادتى تبددت قليلا عندما أخذت أبحث من خلال سطور الخطاب على رقم تليفون صاحب الرسالة حتى أتصل به وأطلب منه سرعة إرسال الأوراق . . لا شىء بالرسالة غير هذه الكلمات . . وعنوانه . .

إن اسم المدينة التى يعيش فيها هذا المواطن الأمريكى غريب . . بالإضافة إلى أننى لا أعرف الطريق إلى هذه المدينة . .

لقد التجأت إلى عدد من الأصدقاء الأمريكان لأعرف منهم أين تقع هذه المدينة فلم يعرف أحد منهم شيئا عنها . . أو يدلنى على الطريق إليها . .

وأخيراً : لجأت إلى قسم الشرطة . . ودخلت مكتب أحد الضباط وطلبت منه مساعدتى فى معرفة العنوان . .

أخرج الضابط من مكتبه « خريطة » وبحث فيها عن موقع هذه المدينة من ولاية نيويورك الشاسعة . . وأخيرا قال لى :

إنها قرية صغيرة تقع على مسافة تبعد عن مدينة نيويورك حوالى ساعتين بالسيارة برغم أنها تابعة للولاية – وتفضل الضابط مشكورا بالاتصال بإحدى شركات الأتوبيس التى تذهب سياراتها إلى هذه القرية وعرف من المسئول بالشركة مواعيد السيارات . .

بعد يومين بالضبط انتهزت فرصة عطلة نهاية الأسبوع وغادرت منزلى فى ساعة مبكرة من الصباح . واتجهت إلى مبنى سيارات الأتوبيس وسألت عن السيارة التى تذهب إلى هذه القرية وركبت . . وبعد ساعتين تقريبا كنت قد وصلت إلى هذه القرية أو هذه الضاحية الهادئة التى يطلقون عليها اسم « قرية » ونزلت من السيارة وأخذت أسأل عن عنوان السكن الذى يقيم فيه هذا المواطن المصرى حتى وصلت إلى منزله . .

كان المنزل الذى يقيم فيه قديماً . . والحى الذى يعيش فيه كله من الزنوج الأمريكان . . صعدت سلالم المنزل حتى وصلت إلى الشقة فى الطابق الثالث وقرعت الباب . . وفتح لى شاب عمره حوالى خمسة وعشرين عاما . . قلت له :

أنا فلان وأخبرته باسمى : وكانت مفاجأة له لم يتوقعها . . ورحب بى فى غرفته المتواضعة التى يقيم فيها مع صديق له مصرى أيضاً كان قد سبقه إلى أمريكا بعدة شهور . . غير أنه لم يكن موجوداً بالمنزل فى هذه اللحظة . .

قدم لى هذا الشاب « تفاحة » من طبق كان موجوداً على ترابيزة بجانبه وقال لى :

تفضل تفاح . . واعتذرت له عن تناول أى نوع من الأكل بين الوجبات . .

قال لى : (طيب أعمل لك شاى) . ؟

ووجدت أنه من الواجب أن أتناول شيئاً حتى لا يشعر بالحرج . . ورحبت

بتناول فنجان شاى . .

أحضر لى الشاب الأوراق الخاصة بى أولا . . ثم جلس معى يرحب بى . . وأخذت أتحدث معه وأستفسر منه عن ظروف حياته بالقاهرة . . ثم حياته الجديدة فى البلد الذى يعيش فيه . .

قال لى : أولا أنا عندى مشكلة معقدة حياتى . .

وسألته ما هى . . ؟

قال : عدم معرفتى باللغة الإنجليزية . !

قلت : طبعا معرفتك باللغة الإنجليزية « جيدا » سوف يأتى عن طريق الاختلاط . . وربما خوفك والرهبة التى تتملكك عند الحديث هى التى تجعل بعض الكلمات تهرب منك . ؟

وهز رأسه وهو يبتسم فى سخرية من نفسه وقال : رهبة إيه يا بيه . . دا أنا ما أعرفش ولا كلمة إنجليزى . ! !

الحقيقة أننى دهشت . . بل ذهلت وأنا أستمع منه إلى مثل هذا الكلام . . وأخذت أستوضحه بعض المعلومات عن حياته فقال :

أنا أصلى من سكان حى « درب سعادة » بالقاهرة . . وسألنى : طبعا عارف درب سعادة الذى يقع خلف مديرية أمن القاهرة . . !

قلت : نعم . .

قال : أنا حاصل على بكالوريوس خدمة اجتماعية . . وعينت بعد تخرجى باحثا اجتماعيا بوزارة الصحة بالقاهرة . . وقد ضقت ذرعا عندما كنت بالقاهرة من حياتى التى كنت أعيش عليها سواء فى المنزل . . أو فى العمل « الشخط والنطر » من رؤسائى . . ورأيت أنها فرصة أن أهاجر إلى أمريكا . . فكتبت خطابا إلى صديقى

الذى أعيش معه الآن أطلب منه أن يبعث لى بخطاب ضمان أتقدم به إلى السفارة الأمريكية ليكون عوناً لى فى الحصول على الموافقة بالهجرة . . وفعلا . . تم كل شىء . . وحصلت على موافقة السفارة بالهجرة . .

وسألته : كيف نجحت إذن فى البكالوريوس وأنت لا تعرف جملة أو كلمة واحدة فى اللغة الإنجليزية . ؟

أجاب وهو يضحك : البرشام يا بيه . . ويقصد بذلك الطريقة التى يستعملها أو يلجأ إليها بعض طلبة الجامعات فى كتابة بعض المواد أو الإجابات فى أوراق صغيرة يخفونها فى جيوبهم واللجوء إليها وقت الضرورة . . !

وسألته مرة أخرى : ماذا فعلت إذن فى امتحان السفارة الأمريكية بالقاهرة قبل حصولك على الموافقة بدخول الأراضى الأمريكية مهاجراً . . ؟

قال : الولية – يقصد السيدة – التى كانت تسألنى وهى أمريكية « زهقت » منى كلما سألتنى سؤالا لا أفهمه . . ولا أستطيع الإجابة عليه . . فكان هناك رجل آخر لاحظ ارتباكى . فتحدث معها باللغة الإنجليزية ثم وافقت على سفرى فى النهاية . . !

ثم قال لى وهو يضحك : أنا فهمت « بالحداقة » من كلام الراجل « للولية » إنه بيقول لها : هو بيعرف إنجليزى بس باين عليه خايف منك . ! ولذلك ضحكت الست ووافقت . . !

وكان لابد بعد علمى بأنه لا يعرف أى كلمة إنجليزية أن أسأله عن رحلته من القاهرة إلى أمريكا . . ماذا فعل بالطائرة . . ! وماذا كان شعوره وهو يركب الطائرة لأول مرة . ؟ ثم ماذا فعل فى كتابة الإقرار الذى يقدم إلى كل راكب طائرة قبل هبوطه إلى البلد الذى سينزل فيه لتقديمه إلى الجمرك . ؟

قال : الحقيقة أننى بعد أن ركبت الطائرة من القاهرة شعرت بفرحة شديدة فى البداية . وأحسست بينى وبين نفسى أننى أصبحت شيئاً كبيراً فى نظر أفراد أسرتى الذين كانوا فى وداعى بالمطار . . وكذلك بعض أقاربى وأبناء الحى الذى أقيم فيه لأننى مسافر إلى أمريكا . . لقد كان أقصى ما يمكن أن أتمناه هو أن أسافر للاصطياف فى الإسكندرية . . ولكن أن أذهب إلى أمريكا مرة واحدة فهذا شىء كان بالنسبة لى مثل « الحلم » .

عندما بدأت الطائرة تقلع من أرض مطار القاهرة وتأخذ طريقها فى الجو تولانى شعور آخر هو الإحساس بالرهبة والخوف من المستقبل . .

لقد عمق هذا الشعور فى نفسى وجود رجل أجنبى كان يجلس بجانبى فى مقعد الطائرة . . فقد نظر إلىّ الرجل وتحدث معى باللغة الإنجليزية بكلام لا أعرف معناه ولا ماذا يقول . . أو يريد . . ثم حزنت عندما سمعت عددا كبيرا من ركاب الطائرة يتحدثون مع بعضهم باللغة الإنجليزية أو بلغات أخرى لا أعرفها . . لم أكن أفكر أبدا فى مثل هذا الموقف . . أو فى اللغة الإنجليزية عندما عزمت على السفر أو الهجرة إلى أمريكا . . كل ما كنت أفكر فيه وأحلم به وأتمناه أن أترك مصر والحى الذى أعيش فيه والوظيفة التى أشغلها والتى أعانى من رؤسائى فيها كل العذاب وأذهب إلى أمريكا مثل أصدقائى وزملائى الذين سبقونى والذين بعثوا إلى برسائل يقولون فيها إنهم سعداء . . وأنهم يملكون سيارات ويعيشون فى بيوت مجهزة بكل شىء : الثلاجات . . والغسالات وأجهزة التكييف . . والتليفون فى الوقت الذى كان الواحد منهم لا يعيش يومه أو ليله إلا على الفول والطعمية . .

وسكت الشاب فترة سرح فيها مع أفكاره فقلت له : وبعدين . . !

قال : عندما شعرت بهذه الكآبة وأنا فى الطائرة من أن كل الناس يتحدثون

اللغة الإنجليزية وأنا لا أعرف شيئا كأنني أطرش فى زفة . . أو أعمى فى سينما . .
طلبت من « الله » أن تصاب الطائرة بعطب وهى فى الجو وتهوى إلى الأرض ويموت كل الركاب بما فيهم أنا . ! !

والحقيقة أنني شعرت بحزن شديد بعد أن سمعت مثل هذا الكلام من الشاب الذى كان يجلس أمامى وهو يروى هذه الحكاية . . أو مأساته ومأساة كل شاب يغادر أو يهاجر من وطنه إلى بلد لا يعرف لغة أهله . . ثم تمنياته أن يموت ركاب الطائرة ويموت معهم من أجل أنه لا يعرف اللغة الإنجليزية . . !

ومرة أخرى قلت له : هيه أكمل ثم ماذا حدث لك بعد ذلك . . ؟

قال : عندما وصلت بي اطائرة إلى مطار نيويورك – كانت متأخرة عن موعد وصولها بحوالى ساعتين – بحثت عن صديقى الذى كان من المفروض أن يكون فى انتظارى فلم أجده . . وشعرت بالكآبه مرة أخرى . وكأنني غريق فى بحر لا يجد من ينقذه ودارت رأسى وأحسست بحالة من الدوخان . أو التوهان ماذا أفعل . . وكيف أتفاهم مع الموظفين بالمطار . . وكيف أسألهم عن المطار الآخر الذى من المفروض أن اذهب إليه لأستقل منه طائرة أخرى إلى البلدة التي سأعيش فيها مع صديقى . . ؟

وهرش الشاب فى رأسه وهو يبتسم ثم قال : لم أجد أمامى شيئا يلفت إلىّ نظر الناس سوى « سير كبير من الجلد » يمشى بالكهرباء وعليه عدد كبير من شنط المسافرين بالمطار فقفزت إليه وقعدت . . ! !

والحقيقة أننى لم أتمالك نفسى من الضحك وهو يروى لى هذه الواقعة . . أو الفضيحة . .

وقلت له أستعجله أن يروى لى بقية هذه الحكاية . . هيه وبعدين . . !

قال . لقد تعالت صرخات وصياح عدد كبير من الناس الموجودين داخل المطار وأمسكوا بى وأنزلونى . وبدأ بعضهم يتحدث معى ... « بالتيلة » باللغة الإنجليزية . . وهنا أحسست أنى أختنق فبكيت وأنا أقول لهم : نو إنجليزى . . ! ! ويعدين . . !

قال : لقد أنقذ الموقف وجود ست – يقصد سيدة – مصرية كانت موجودة فى الطائرة التى كنت أركبها ويبدو أنها عرفت أننى مصرى فتقدمت منى وتحدثت معى باللغة العربية وسألتنى إيه الحكاية . . ؟

قلت لها : إنت نزلت لى من السما . . أنا عايز أروح البلد دى ، وأخرجت من جيبى عنوان صديقى فى البلد الذى يقيم فيه . .

وتطوعت « الست » وتحدثت مع الناس الموجودين بالمطار الذين قاموا بعد ذلك بترحيلى إلى مطار آخر محلى – بالأتوبيس – لأركب من هناك طائرة أخرى إلى هذا البلد الذى أعيش فيه . . !

قلت له : ماذا تشتغل الآن . . ؟

وكيف تتعامل مع الناس الذين تعمل معهم . . وهل هم أمريكان . . ؟

قال : أشتغل فى مطعم « أغسل الصحون » وقد عثرت على هذا العمل عن طريق صديقى الذى أعيش معه الآن . . أما تعاملى مع الناس الذين أشتغل لديهم فهم طبعاً أمريكان . . وعملى الذى أؤديه لا يحتاج إلى كلام . . أو لغة لأننى خلال الثمانى ساعات التى أشتغلها أظل « أغسل الصحون » وغيرها من الشوك والملاعق والأطباق ولا أتحدث مع أحد أو يتحدث معى أحد . . !

وسألته : وهل أنت مبسوط من هذه الحياة . . ؟

قال : « الناس الذين أعمل معهم مبسوطين منى جدا لأننى أشتغل زى الحمار

وكل واحد فيهم يقول لى : فرى جود مخمد . أقول له بالعربى . . طيب إيدك على . . وأشير له بأصبعين إلى فى . . يعنى هات سيجارة » . !

قلت للشاب ناصحاً : لماذا لا تذهب إلى مدرسة فى الليل وتتعلم اللغة الإنجليزية . . إن هذا واجب لابد لك أن تقوم به حتى تستطيع العيش والحياة فى بلد لا تعرف لغة أهله . . ؟

قال : مفيش وقت يا بيه . . إننى أخرج من عملى إلى عمل آخر مماثل له لأشتغل ثمانى ساعات أخرى . . يعنى ست عشرة ساعة أعملها فى اليوم . . ! !

قلت له مستغرباً : ولماذا هذا الإرهاق والتعب والزمن أمامك طويل يمكن أن تكسب فيه أكثر إذا تعلمت اللغة . . ؟

أجاب وهو يفتح يديه فى الهواء : الفلوس . . أنا عايز يبقى عندى فلوس زى زملائى وأصدقائى . . كل واحد منهم يمتلك سيارة . . وأنا مازلت ماشى على رجليه . . ! !

وسألته : هل أنت سعيد ومبسوط من الحياة التى تعيشها مع صديقك فى هذا المنزل . . ؟

أجاب : بينى وبينك بدأ يقرفنى فى عيشتى ويستغلنى . وأنا مستحمل علشان « الهباب » . . اللغة الإنجليزية . . ! !

وتركته وانصرفت عائداً إلى مدينة نيويورك . .

كارثة . . . أمام بنك . . !

ذات يوم كنت أسير فى أحد شوارع مدينة نيويورك فى طريقى إلى مكتب البريد . . وفى أثناء سيرى شاهدت شاباً لا يتجاوز عمره العشرين عاماً يمشى وهو يبكى بحرارة . .

كانت ملامح هذا الشاب يبدو منها أنه مصرىّ أو عربىّ . . تقدمت منه وسألته باللغة العربية :

أأنت مصرى . . . ؟ وتنهد الشاب وكأنه عثر على كنز وقال : أشهد أن لا إله إلا الله . . حضرتك مصرى كمان . . ؟

قلت : أيوه . . وسألته عن حاله وسبب بكائه . . !

قال : لقد حضرت إلى مدينة نيويورك منذ أيام قليلة « مهاجراً » من مصر وتوجهت إلى منزل صديق لى – وهو الذى أرسل لى خطاب ضمان للسفارة – ففوجئت بأنه قد نقل إلى مدينة أخرى بعيدة . . ولكننى وجدت فى نفس الشقة التى كان يقيم فيها رجلاً آخر مصريًّا عطف علىّ واستضافنى عنده . ولكنه الآن يطلب منى الخروج من المنزل وعدم المبيت عنده . والبحث عن مكان آخر أعيش فيه . .

قلت له : هذا شىء طبيعى . وأعتقد أنه قام بالواجب . . وماذا يغضبك فى ذلك . . ؟

قال : أنا لا أعرف شيئا فى هذه المدينة . . ولا أعرف أيضاً أى حرف من اللغة الإنجليزية . . ! !

وهنا أدركت أننى أمام مصيبة أخرى . ودارت فى نفسى تساؤلات . .

كيف يخرج مثل هؤلاء الشباب من بلادهم وهم لا يعرفون اللغة . . ؟

وكيف يجازفون بحياتهم ومستقبلهم إلى هذه الدرجة . . ؟

وهل البحث عن المال لا يكون إلا فى بلد مثل أمريكا . . ؟

وقلت للشاب تعال معى . . واصطحبته إلى « كافيتريا » قريبة وجلست معه وقلت له :

قل لى : ما هى قصتك . . ماذا كنت تشتغل فى مصر . . ؟

ولماذا حضرت إلى هنا . . ؟

قال الشاب : إننى من سكان حى الشرابية بالقاهرة . . واسمى أنور – ولا أذكر بقية اسمه – وكنت أشتغل فى مصر ميكانيكيًّا للسيارات . . ولقد أرسل صديق لى وجار لنا بالمنزل رسالة من نيويورك – بعد هجرته بشهور – يقول لى فيها : إنه مبسوط جدًّا ويكسب أموالا كثيرة . . وإنه فى إمكانى الحضور إليه وهو يتولى إيجاد عمل لى . . وأرسلت إليه الرد بالموافقة وبعث إلىَّ بخطاب ضمان إلى السفارة الأمريكية حيث حصلت على الموافقة على هجرتى وحضرت إلى هنا وفوجئت بأنه نقل إلى هذا البلد . . وناولنى ورقة تركها له صديقه مع الشخص الذى يقيم مكانه فى الشقة . . وقرأت فى الورقة أن هذا البلد هو مدينة « فلوريدا » وهى ولاية تبعد عن مدينة نيويورك بآلاف الأميال . .

وعرضت على الشاب أن أساعده فى البحث عن أى عمل يعيش منه . فرحب بذلك . وفعلا نهضت من مكانى وتوجهت إلى حيث يوجد تليفون بالكافيتريا ، واتصلت بصديق مصرىّ يمتلك مطعماً ، وتحدثت معه فى أمر هذا الشاب . وطلبت منه أن يعمل لديه بالمطعم فى غسيل الأطباق . .

وقال لى صديقى صاحب المطعم : هو دا معقول . . واحد شغلته ميكانيكى

عايز تخلّيه يغسل صحون . . . ؟ !

وسألته فى تعجب : وهل هناك ما يمنع من قيامه بهذا العمل . . ؟

أجاب : طبعاً . . إنت مش عارف إن كل شىء فى البلد دى – يقصد أمريكا – تخصّص . .

قلت له : نحن لسنا فى مجال التخصّصات . . وإنما فى كيفية مساعدة شاب من مصر فى حاجة إلى أن يعيش . .

قال : ومن الذى قال له أو دفعه إلى الحضور لأمريكا مادام لا يعرف اللغة الإنجليزية . . ؟

وقلت له فى حسم وجدية : لا داعى لتلقى علىّ محاضرة . . هل يمكنك مساعدته ليعيش . . أو لا . . ؟

قال : أرسله إلىّ . . ! وعدت إلى حيث كنت أجلس مع هذا الشاب وأخرجت ورقة وقلما وكتبت له عنوان صديق صاحب المطعم وأعطيته له . .

وإذا به يقول لى : والنبى تكتب لى « بالإنجليزى » أركب إيه حتى يمكنى الوصول إليه . . ! وبعد أن انتهيت من كتابة ما طلبه منى نظر إلىّ وهو يبتسم ثم انفرجت شفتاه عن ضحكة وهو يقول لى : هل تعرف ماذا حدث لى اليوم قبل أن ألتقى بك . . ؟

قلت : ماذا حدث . . ؟

قال : أنا لا أعرف من اللغة الإنجليزية غير خمس أو ست كلمات سمعتها من الرجل الذى أعيش معه . . من بينها كلمة : Help me يعنى . ساعدنى : وقد حدث أن وقفت منذ قليل أمام أحد البنوك ووجدت سيدة تخرج من البنك يبدو عليها أنها طيبة . فتقدمت منها أسألها أن تبحث لى عن عمل وقلت لها :

Help me   وكان جوابها أن فتحت شنطة يدها وأخرجت منها « برتقالة » أعطتها لى . . ! !

وأغرقت فى الضحك الممزوج بالأسى على بعض شباب مصر الذين يتركون بلادهم ويرحلون إلى بلاد أخرى لا يعرفون لغة أهلها . . ولا يعرفون أيضاً الطريق إلى مستقبلهم . . ثم سلمته ورقة أخرى – مع العنوان وفيها وصف بالمواصلات التى سوف يركبها حتى يصل إلى صديقى صاحب المطعم . . ومع الأيام انشغلت عنه فترة لا أعرف مصيره أو ماذا فعلت به الأيام . . وذات ليلة وأنا جالس فى منزلى دار فى خاطرى أن أعرف مصير هذا الشاب . . فأمسكت بالتليفون واتصلت بصديقى أسأله عنه فإذا به يقول لى : البقية فى حياتك . . الواد مات تحت عجلات أتوبيس . . !

هل تعرف الرقص . . ؟ !

معذرة إذا قلت لك : قبل أن تهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تتعلم الرقص . . !

هذا الكلام ليس معناه دعوة إلى الفجور . . أو الإباحية . . أو الضياع . . أو الانحلال . . أو اللهو وضياع الوقت الذى يجب أن تستثمره فى العمل وكسب الأموال .

لا . . إن « الرقص » فى رأيى يعتبر لغة أخرى يجب أن تتعلمها إلى جانب اللغة الكلامية وهى الإنجليزية . .

هذا إذا كنت رجلا متحضراً تريد أن تعايش المجتمع الجديد الذى تنوى الإقامة فيه بصفة دائمة . .

ثم إنك سوف تضطر مع الأيام فى أثناء إقامتك فى أى مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تذهب مع أصدقائك من الأمريكيين إلى بعض أندية الرقص . . أو ربما تدعى إلى حضور بعض الحفلات التى يضطر فيها الحاضرون أو المدعوون إلى الرقص . . وتكتشف أنك « جاهل » أو لا تعرف كيف ترقص . .

وهنا سوف تجد نفسك تجلس بمفردك وحيداً والجميع يرقصون . . وربما يكون من بين الذين يرقصون . . صديقتك . . أو زوجتك الأمريكية مع أشخاص آخرين لست واحداً منهم . .

ثم إن « الرقص » بالإضافة إلى ذلك هو الطريق إلى حصولك على وظيفة ربما لا تحلم بها إذ ربما تجمعك الظروف ويلقى بك « الحظ » إلى مراقصة فتاة . . أو سيدة مرموقة فى المجتمع الأمريكى وتعجب لك فتقدمك إلى بعض الشخصيات التى تحتل مركزاً عالياً . . أو وظائف كبيرة ويسند إليك وظيفة لم تكن تحلم بها . .

ومن جهة أخرى قد تذهب إلى أحد « أندية الرقص » فى المدينة التى تعيش فيها وتتعرف إلى إحدى السيدات الثريات وترقص معها وتعجب بك و . . تتزوجك وتصبح مليونيراً كما حدث مع بعض الناس . .

وعلى العموم : هذا مجرد رأى . . أو نصيحة . . ولك أن تأخذ بها . . أو لا تعمل بها . .

وتسألنى . . ولماذا لم تفعل أنت مثل ذلك عندما كنت تعيش فى أمريكا . . ؟

والجواب هو : يا ريت كنت أعرف أرقص عندما كنت أعيش بمدينة نيويورك سنوات طوالا . .

لو كنت أعرف الرقص فى ذلك الوقت لما صدر هذا الكتاب . . وكنت تقرأ عنى فى الصحف والمجلات أنى تزوجت من المليونيرة الأمريكية . .

تجاربى فى أمريكا . . !

معذرة أيها القارئ العزيز إذا كتبت لك فصلا كاملا عن تجاربى التى عشتها فى أمريكا . . وفى مدينة نيويورك بالذات . . وهى المدينة الصاخبة . . المزعجة . . المخيفة . . الجميلة فى نفس الوقت . . والتى استقبلتنى فى بداية حياتى فيها بالبؤس والشقاء . . والدموع والآهات .

ثم ودعتنى بالابتسامة والفرح والإشراق . . على أمل أن أعود إليها مرة أخرى . .

إن الغرض من كتابة هذا الفصل . . أو هذه المذكرات . . أو الذكريات الخاصة عن حياتى هو : أن أضع أمامك بعض التجارب التى صادفتنى فى حياتى بالولايات المتحدة الأمريكية . . لعلك تأخذ منها عبرة وعظة فى مستقبل حياتك إذا سافرت إلى أمريكا بدون هجرة . . ! !

لقد تركت « وطنى العظيم مصر » بعد حرب عام ١٩٦٧ . . خرجت من مصر « هارباً » بدعوى العلاج واستكمال الدراسة . . وفى نيتى عدم العودة نهائيًا . .

لم يكن أحد يعرف ذلك سوى ثلاثة أشخاص فقط وهم من أعز أصدقائى . . ولقد كتبت إلى واحد منهم « سرًّا » توكيلا رسميًّا فى الشهر العقارى أن يتولى شئون شقتى بالقاهرة فى أثناء فترة غيابى . . .

ولقد قررت السفر إلى مدينة نيويورك وأعددت كل شىء خلال ثمان وأربعين ساعة . . ! !

لم أكن أعرف شيئاً عن مدينة نيويورك ولا لماذا اخترت هذه المدينة بالذات دون باقى المدن أو الولايات الأمريكية كلها . .

كان تفكيرى كله ينحصر فى كيفية الهرب من مصر بناء على نصيحة بعض الأصدقاء المقربين والذين كانوا يتولون فى ذلك الوقت مناصب هامة فى الدولة .

كنت فى هذه الفترة أتولى وظيفة سكرتير صحفى أحد الوزراء . . إلى جانب أننى كنت أعمل محررا بصحيفة الأخبار . .

ركبت الطائرة من مطار القاهرة فى طريقى إلى مدينة نيويورك . . كنت طوال الرحلة أفكر فى مصيرى المجهول هناك . . فأنا لا أعرف أحداً ولا أعتمد على شىء غير « الله » . .

كان تفكيرى كله ينحصر فى كيفية هروبى من مصر — بعد أن أشيع عنى فى جميع الأوساط والجهات أننى معاد للنظام . . وإطلاق « النكات السياسية » اللاذعة التى تسخر من السلطة ورئيس الدولة فى ذلك الوقت .

والآن أفلت من قبضة السلطات . . وبطش الاعتقال والتشريد والتعذيب . .

أصبح تفكيرى بعد ذلك يدور فى مستقبلى . .

ماذا سأفعل فى أمريكا . . ؟ وما هو مصيرى هناك . . ؟ وتلاحقت الأسئلة على أفكارى مثل طنين النحل وهو يحوم حول خليته . .

وعزمت على أن أترك كل هذه الأفكار التى تزدحم فى مخيلتى لتصاريف القدر . . « ولله » وبدأت أشغل نفسى بقراءة بعض الصحف والمجلات التى كانت موجودة بالطائرة . . ثم بالحديث مع جارى الذى كان يجلس بجانبى فى مقعد الطائرة . .

عندما هبطت الطائرة التى كنت أركبها فى مطار كنيدى الدولى بمدينة نيويورك . . بهرنى المطار بما فيه من فخامة وروعة ونظام . . وأخذت أتطلع إلى كل ما حولى ثم اتجهت إلى حيث توجد حقائبى وجمعتها ، ثم وقفت فى طابور الذين كانوا معى بالطائرة لفحص جوازات السفر أمام الموظف المسئول بالمطار . .

وجاء دورى وتقدمت من الموظف وسلمته جواز سفرى ونظر فيه . . ثم تطلع إلى حقائبى الكثيرة وقال لى باللهجة الأمريكية التى كنت أسمعها لأول مرة : انتظر هنا . . ! . وأشار إلى جانب من صالة المطار . . واتجهت إلى حيث طلب منى . . وبعد فترة دامت حوالى نصف الساعة كان قد انتهى فيها من فحص جوازات كل القادمين من السفر حضر إلىّ وقال لى وهو يفحص جواز سفرى :

لماذا جئت إلى هنا بتأشيرة دخول فقط دون عودة . . هل تنوى الإقامة هنا بصفة دائمة . . ؟

وقلت له بحسن نية : نعم . .

ابتسم بسخرية وردّ علىّ قائلا : هيه إن بلادكم مع الشيوعية . . ونحن لا نريد شيوعيين فى بلادنا . . ! !

قلت له : إننى لست شيوعيًّا . . بل أنا عدو للشيوعية . .

قال : عليك أن تعود إلى بلدك ثانية . . انتظر هنا : وتركنى وانصرف إلى مكتب بالمطار يجلس فيه موظف يبدو عليه أنه مسئول كبير . . وتحدث معه ثم أحضره معه إلى حيث كنت أقف وأنا أرتعش من الخوف الذى استولى على كل كيانى خشية أن يعيدونى ثانية إلى مصر . ولا أعرف بعد ذلك ما هو مصيرى . ؟ !

اتجه المسئول الكبير نحوى وهو يسألنى : لماذا جئت إلى نيويورك . . ألا تعلم أن العلاقات بيننا وبينكم سيئة . . .؟

وماذا ستعمل هنا وأنت لست مهاجراً . ؟

وقبل أن أجيب عن أسئلته سمعت صوتاً ينادى علىَّ من خارج الدائرة الجمركية بالمطار . . وتطلعت إلى مصدر الصوت فرأيت صديقاً أمريكيًّا يقف فى انتظارى وكنت قد بعثت إليه ببرقية من القاهرة عن طريق شركة الطيران لموعد وصولى إلى مطار نيويورك . .

استأذن صديقى بعض المسئولين فى المطار ودخل إلى الدائرة الجمركية حيث كنت أقف مع موظفى إدارة الجوازات . . تقدم منهم وأبلغهم بشخصيته . ثم سألنى يستوضحنى ما أنا فيه من إشكالات . . فأبلغته بما حدث . . وأن الأمر قد وصل إلى درجة إعادتى ثانية إلى مصر . .

. أخرج صديقى الأمريكى بطاقة من جيبه وأطلع عليها المسئولين بإدارة جوازات المطار وقال لهم : إنه صحفى . . وإنه يرجو السماح لى بالخروج من دائرة المطار وسوف يتولى هو تسوية الموضوع أو الأزمة مع مدير إدارة الجوازات بالمدينة . . وتم اتصال تليفونى وخرجت من المطار بتأشيرة لمدة شهرين . . ! !

أخذ صديقى الأمريكى حقائبى ووضعها فى سيارته وانطلق بى إلى المدينة وقال

لى : أثناء الطريق : لقد استأجرت لك غرفة فى أحد بيوت الشباب حتى تدبر أمورك وتبحث عن عمل . . وأوصلنى إلى هناك وتركنى . .

. . كان لدىَّ أمل كبير فى أن يبحث لى هذا الصديق عن عمل - وقد حاول فعلا - ولكنه للأسف أخفق فى كل محاولاته . .

أولا : لأننى لست مهاجراً رسميًّا . . وليس من حقى الاشتغال أو العمل فى أى شىء حسب القوانين الأمريكية .

ثانياً : كانت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية سيئة جدًّا . . وليس لمصر تمثيل دبلوماسى هناك . .

ثالثاً : كانت الفكرة لدى الأمريكيين أن مصر قد ارتمت فى أحضان الاتحاد السوفيتى وبذلك أصبح كل المصريين شيوعيين . . !

رابعاً : تخوف كل المسئولين الأمريكيين فى أى مؤسسة . . أو شركة . . أو جهات أخرى من تحمل مسئولية تشغيل مصرى ليس معه بطاقة إقامة دائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . . ! !

أبلغنى صديقى الأمريكى بكل ذلك وهو يقدم لى أسفه الشديد لهذا الموقف الحرج . . والظروف الصعبة التى تحيط بى . .

ضاقت الدنيا فى عينى وأصبحت لا أستطيع تناول أى لون من الطعام أو الشراب . . بل إن التفكير فى مصيرى ومستقبلى قد بلغ بى درجة مواصلة الليل بالنهار ساهراً أبكى . .

ماذا أفعل . . ؟ هل أنتحر . . ؟ إن إيمانى « بالله » يمنعنى من التفكير فى الإقدام على الانتحار . .

إلى من ألجأ . . ؟ خرجت من غرفتى التى كنت أسكنها فى « بيت الشباب » -

وأنا أبكى – إلى الطريق . . وسرت بعض الوقت حتى وجدت « كافيتريا » فدخلت وجلست على أحد المقاعد بالصالة ومازالت دموعى تنهمر من عينى .

تقدم منى شاب كان يجلس إلى ترابيزة مجاورة لى وتحدث معى « باللغة العربية » قائلا لى :أأنت مصرى . . ؟

نظرت إليه وقلت له : نعم . .

قال : أنا لبنانى . . وزوجتى مصرية . . واسمى محمد . .

ثم سألنى مرة أخرى : لماذا تبكى . . ؟

قلت له : إننى فى كارثة . . ورويت له قصتى . . ابتسم الشاب وهو يضع يده على كتفى قائلا : ولا يهمك . . أنا راح أشغّلك بكره . . ! !

أخذ الشاب اللبنانى يتحدث معى عن ظروف خروجى من مصر . . وماذا كنت أشتغل . . ولما عرف كل الحقائق التى ذكرتها له قال لى : العمل هنا فى أمريكا مش عيب . . يعنى أقصد أن أى عمل يشغله الإنسان ليس فيه عيب . . العيب هو أن تمد يدك للناس . . أو تظل بدون عمل . . وليس فى أمريكا كلها إنسان بدون عمل . . ثم دفع حساب المشروب الذى تناولته وقال لى : هيا بنا . .

وسألته : إلى أين . . ؟

قال : إلى منزلى حيث أقدمك لشقيق وهو يعمل « مديراً » لأحد الأندية الليلية فى نيويورك . .

جرسون لمدة أسبوع . . !

ركبت السيارة مع هذا الصديق اللبنانى وأخذ يتحدث معى طوال الطريق إلى منزله الذى استغرق حوالى ساعة ونصف الساعة . . ثم قال لى : معلهش . . نيويورك أصلها مدينة كبيرة والمسافات طويلة . . . !

وصلت بنا السيارة إلى منزل صديق اللبنانى ، وصعدت معه إلى شقته ، حيث قدمنى إلى شقيقه ، وجلسنا نتحدث عن مصر ولبنان . . وتبين لى من خلال الحديث أن شقيق صديق اللبنانى يسكن فى شقة مجاورة فى نفس العمارة ، وأنه متزوج هو الآخر ، ولكن زوجته فى لبنان تمضى إجازتها هناك عند أسرتها . .

سألنى الصديق اللبنانى الجديد . . هل أنت مستعد للعمل اليوم . . ؟

كان هذا السؤال « مفاجأة لى » فقد شعرت بسعادة كبيرة وأنا أستمع إلى كلمة «شغل» أو عمل بعد اليأس وحالة الكآبة التى شملتنى . .

قلت على الفور : نعم . .

قال : طيب . . أنا راح أقدمك لأصحاب الملهى الذى أعمل فيه على أنك كنت تشغل وظيفة « رئيس جرسونات » فى فندق . . . بمدينة القاهرة . .

وأحسست أننى وقعت فى مشكلة أخرى . . وأن الطريق إلى العمل قد أغلق فى وجهى مرة أخرى . . !

وسألته : كيف أقول إننى كنت « رئيس جرسونات » فى فندق كبير بالقاهرة . وأنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق . . ولا أعرف كيف أمسك صينية قهوة . . !

ثم إننى كنت فى مصر أشتغل فى وظيفة . . . ؟

أجاب الصديق اللبنانى :

أولا : يجب أن تنسى تماماً ماذا كنت تعمل . . أو تشتغل فى مصر . .

ثانياً : أنت هنا فى أمريكا . . ولا يوجد فى هذا البلد شيء اسمه « عيب » زى بلادنا . .

ثالثاً : أنت الآن فى حاجة إلى أن تعيش وليس أمامك غير ذلك . .

قلت مستسلما طيب . . ولكن المشكلة كيف أمارس عملى فى الملهى وأنا لا أعرف شيئاً . . ؟

قال : سوف أقف بجانبك وأساعدك . . ! وبعد أن تناولت معها طعام الغداء طلب منى هذا الصديق اللبنانى أن أستعد لمرافقته إلى العمل . .

نزلت من المنزل وركبت معه السيارة وطوال الطريق إلى العمل الجديد . . أو « الملهى » وهو يحدثنى وأنا لا أفهم شيئا مما يقوله . . إن تفكيرى كله محصور فى هذا العمل الجديد الذى سوف أشغله . .

- هل يقبلنى أصحاب الملهى . . ؟
- كيف أقوم بالعمل الذى سوف يسند إلىّ . . ؟
- هل أصبحت وظيفتى من الآن « جرسونا » . ؟
- هل أوفق فى العمل الذى سوف يوكل إلىّ . . ؟
- هل ستحدث لى كارثة من وراء هذا العمل . . ؟

هل لو وفقت فى هذا العمل سأستمر فيه . . أم ستظهر مشاكل بعد ذلك . . ؟

ماذا لو عرف أصحاب الملهى أننى لا أحمل بطاقة إقامة دائمة – مثل كل المهاجرين – هل سأطرد من العمل . . أم سأستمر . . ؟

ماذا لو شاهدنى أحد رواد الملهى من المصريين وأنا أشتغل فى « ملهى

ليلى » . . ؟ هل يحدثنى . . أو يتجاهلنى . . أو يكتب إلى أصدقائه ومعارفه فى مصر أنه شاهدنى أشتغل فى ملهى . . ؟

دارت كل هذه الأسئلة فى ذهنى وأنا جالس فى السيارة بجوار صديق اللبنانى . .

لم أشعر بالوقت . . أو المسافة . . أو ازدحام الطرقات بالسيارات . . أو مناظر العمارات الجميلة . . أو ناطحات السحاب الشاهقة . أو بالكلام الذى كان يقوله صديق وأنا فى هذه الدوامة من التساؤلات . . والأفكار . .

وفجأة وقفت السيارة أمام « ملهى كبير » فى أحد الشوارع الكبيرة الضخمة فى مدينة نيويورك . .

قال لى صديق : استعد لقد وصلنا . . !

وهنا شعرت أن قلبى بدأ يدق بسرعة وانهارت قواى . . ولم أستطع السير على قدمى . . !

وشعر صديق أننى فى حالة ارتباك فقال لى يشجعنى : إياك أن ترتبك . . أو تخاف من شىء . . أنا مدير الملهى . . وأنا المسئول . . إن الأشخاص الذين سوف تقابلهم هم أصحاب الملهى فقط . . وليسوا مسئولين عن إدارة الملهى . .

والحقيقة أن هذا الكلام الذى سمعته قد شجعنى وأعاد إلىّ الثقة فى نفسى . وقوى من عزيمتى . وجعلنى أدخل معه إلى « الملهى » وأنا على شىء من الثقة . .

أخذنى صديق اللبنانى من يدى وقدمنى إلى ثلاثة أشخاص كانوا يجلسون إلى مائدة فى وسط الملهى الذى كان خاليًا من الرواد حيث كان الوقت مبكراً عن موعد بداية العمل وقال لهم : أقدم لكم صديق « المستر أحمد » وهو سيعمل معى ابتداء من الليلة « بدلا » من مساعدى الذى خرج منذ أيام . . !

وسألنى أحدهم : أين اشتغلت من قبل . . ؟

قلت : كنت مساعداً لمدير فندق « ؟ » بمدينة القاهرة . . !

وذهلت عندما سمعت الثلاثة يقولون فى وقت واحد : أوه كويس . . !

وأخذ أحدهم يحدثنى ويسألنى بعض الأسئلة بلغة إنجليزية غريبة . . عرفت فيما بعد أنه « إيرانى الأصل » .

وبعد أن انتهى من الحديث معى قال لى : اذهب إلى صديقك لتعرف منه عملك الجديد . . وتوجهت إلى حيث كان يقف صديقى فى جانب من الملهى مع بعض الجرسونات ومد لى يده وقدمنى إليهم . . ثم قال لى وهو يناولنى « جاكت » لونه أحمر : خذ البس دى . . !

كانت هذه أول مفاجأة . . أو صدمة بالنسبة لى . . وارتديتها وكانت مضبوطة تماماً علىّ . . ثم قال لى : امسك هذا الدفتر . . كل ما يطلب منك من مأكولات اكتبه هنا . . وعلى الوجه الآخر اكتب كل ما يطلب منك من مشروبات . . ! !

أحسست بعد ذلك أننى وقعت فى ورطة . . أو كارثة . . وهمست فى أذنه قائلا : انت مش عارف أننى لا أعرف شيئا على الإطلاق . . ؟

صحبنى من يدى ى بعيداً إلى جانب آخر من صالة الملهى وقال لى وهو يشير إلى بعض الترابيزات : أنت مسئول عن الخدمة فى هذه الترابيزات الخمس . . ! وتركنى وانصرف . . ثم عاد إلىّ مرة أخرى بسرعة وهو يقول لى : لا تقف مكتوف اليدين . . لابد أن تظهر أمام أصحاب الملهى أنك تشتغل . . افعل أى شىء . . استعدل الكراسى . . أو المفارش . . أو الفوط والسكاكين والملاعق . . .

وبدأت أفعل كما طلب منى . . وبعد فترة بدأ رواد الملهى يحضرون . . وبدأت أنا أبدو أمامهم وأمام أصحاب الملهى أننى رجل خبير . . أو جرسون محترف أعرف

أصول العمل والمهنة . . وأشرت إلى هؤلاء الرواد أن يتفضلوا بالجلوس عندى ثم سألتهم عن عددهم فقال أحدهم : نحن أربعة أشخاص . . وأجلستهم . . ثم بدأ غيرهم . . وغيرهم حتى انشغلت الترابيزات التى فى عهدتى . . وبدأ الارتباك يبدو علىّ واضحاً . . !

اقتربت من أول ترابيزة لتلقى الطلبات . . وبدأ كل واحد من الجالسين يطلب ما يريد من مشروبات كحولية . .

قال أحدهم : أريد مانهاتن . .

قلت فى نفسى : إن أول القصيدة كفر . كما يقولون . . لقد سمعت من قبل أن « مانهاتن » هو حى المال والتجارة والبنوك فى مدينة نيويورك . . فكيف يطلب هذا الرجل « مانهاتن » إنه لابد قد شرب من الويسكى قبل أن يحضر إلى الملهى ما جعله فى حالة شديدة من السكر . .

وتوجهت إلى صديقى اللبنانى وقلت له : هناك على إحدى الترابيزات رجل « مخمور » طلب منى أن أحضر له . . « مانهاتن » . . !

وابتسم صديقى وهو يقول لى : اكتب الطلب على الوجه الآخر من الدفتر الذى معك . . إن « مانهاتن » هو نوع من المشروبات . . وليس حى مانهاتن كما تعتقد . . ! !

ظللت طوال السهرة وأنا مثل المكّوك أنتقل من ترابيزة إلى أخرى أتلقى طلبات الزبائن وأدونها فى الدفتر الذى معى . . وإذا استعصى علىّ شىء لجأت إلى صديقى اللبنانى . . وعند نهاية حساب كل ترابيزة ألجأ إليه مسرعاً طالباً منه مساعدتى ومعاونتى فى تدوين أو تسجيل ثمن كل طلب . . وكان هو بين الحين والآخر يمر علىّ ويسألنى عمّا إذا كنت فى حاجة إلى مساعدته فى شىء . .

استمر عملى فى هذا الملهى لمدة أسبوع كامل : . كنت أبدأ عملى فى الساعة السادسة مساء — وذلك استعدادا لإعداد كل شىء — وأنتهى منه فى حوالى الساعة الرابعة صباحاً . . وبعد أسبوع توجهت إلى أحد أصحاب الملهى أطلب منه أجرى عن العمل . والمعروف أن الأجور والمرتبات تُصرف كل أسبوع . .

نظر إلىّ الرجل وقال لى : ليس لك أموال لدينا . . ! !

واستغربت الإجابة ولم أفهم ما هو المعنى أو المقصود من وراء ذلك . وسألته : لقد اشتغلت أسبوعا كاملا ولم أقبض مرتبى بعد . .

أجاب : هل لديك أوراق إقامة . . أو بطاقة عمل . . ؟

قلت : لا . . وأعتقد أنك تعرف ذلك من صديق . .

قال : إن أمثالك من الذين لا يحملون بطاقة إقامة دائمة فى أمريكا . وليس معهم بطاقة عمل يشتغلون مجاناً . ويكفى ما يحصلون عليه من « بقشيش » خلال أعمالهم . . ! !

ثم أنهى كلامه قائلا : هل يعجبك أن تشتغل عندنا على هذا الأساس . . أو تتصرف . . أو أحضر لك البوليس . . . !

وأثارت كلمة « البوليس » فى نفسى الرعب لأن عملى أو اشتغالى فى أى مكان غير مشروع . . وإذا حدث واكتشف أمرى فسوف « أرحّل فوراً » خارج الولايات المتحدة الأمريكية . .

وانصرفت وأنا أبكى وألعن صديق اللبنانى . . وأصحاب الملهى . . والرواد السكارى . . !

بائع بمحل بقالة . . !

خلال الفترة التى اشتغلت فيها « جرسوناً » فى هذا الملهى الليلى كنت قد اكتسبت كثيراً من المرونة فى حياتى . . وعرفت أيضاً الكثير من الشوارع والأحياء . . وتعودت على التنقل بين (القطارات) الموجودة تحت الأرض . . والمعلقة فى الهواء . . والأتوبيسات وشعرت بشىء من الجرأة والشجاعة عما كنت عليه يوم وصولى إلى مدينة نيويورك . .

لقد فكرت كثيراً بينى وبين نفسى عن مستقبلى وما يمكن أن أكون عليه . . إن العمل فى مهنة أو وظيفة دون المستوى – فى أمريكا – ليس عيباً . . ولكن العيب أن أعيش عالة على أى إنسان . . أو أظل عاطلا بلا عمل . . وأمام التساؤلات التى طرحتها على نفسى قررت أن أبحث عن عمل أعيش منه .

كنت قد سمعت من بعض الناس أن هناك « حيًّا عربيًّا » يقع فى بروكلين بمدينة نيويورك . . سألت عنه وعن الشارع الذى توجد فيه المحال العربية . . وفى اليوم التالى توجهت إلى هناك . . أخذت فى بداية وصولى إلى هذا الشارع معرفة نوعية هذه المحال وأصحابها . . ولا أعرف كيف تملكتى الجرأة والشجاعة أن أدخل محلاً كبيراً للبقالة العربية وأسأل عن صاحب المحل . . فأشار لى أحد الواقفين إلى رجل كبير فى السن . . وقال لى : هذا هو . . .

وسألته : هل هو أمريكى . . أو عربى ؟

وأجاب : إنه أمريكى ولكن من أصل عربى . . وتقدمت من صاحب المحل وتحدثت معه باللغة الإنجليزية وقلت له : إننى مصرى وفى حاجة إلى عمل . . فهل

لديك مكان لى فى هذا المحل . . ؟

وسألنى الرجل : هل تعرف تبيع . . ؟

وأجبته : ممكن قوى . . كل شىء يأتى بالمران . . ومع الأيام . . !

وقال الرجل وهو يبتسم : نحن فى حاجة إلى شاب مثلك يعرف اللغة العربية . . لأن زبائننا كلهم من المصريين والعرب . . وهناك بعض الطلبات والأصناف التى يطلبها الزبائن لا نعرفها . . ثم إنك تستطيع التفاهم مع الزبائن بلغتك أحسن منى ومن شركائى الأمريكيين .

ثم سألنى : هل أنت مستعد للعمل ابتداء من باكر . . ؟

قلت : نعم . . ولكننى أحب أن أصارحك بشىء . .

قال : تفضل . .

قلت : إننى لست مهاجرا رسميًا وليس معى بطاقة عمل . . وقد جئت إلى أمريكا هارباً من بلدى بسبب السياسة . . « فقط » أنا فى حاجة إلى العمل لأعيش . . !

وتركنى الرجل وذهب إلى شركائه فى المحل وتحدث معهم . . ثم حضر إلىّ كبيرهم وقال لى : يبدو عليك أنك إنسان طيب . . ماذا كنت تعمل فى مصر قبل حضورك إلى الولايات المتحدة . . !

قلت : كنت أشتغل بالصحافة . . !

قال : عموماً العمل فى أمريكا ليس عيباً . . مادمت تشتغل لتعيش . . عليك أن تحضر فى الصباح الباكر غداً . . ثم قال لى قبل أن أنصرف : طبعاً تريد أن تطمئن على الأجر الذى سوف تحصل عليه ؟ إننا سوف نقدر ذلك فى نهاية الأسبوع . . ولكن هناك شىء هام أرجو أن تعمل به ولا تنساه . .

وسألته : ما هو . . ؟

قال : عرفت من شريكى أنك لا تحمل بطاقة إقامة دائمة مثل بقية المهاجرين . . وليس معك أيضا بطاقة عمل . . إذن : إذا سألك أى موظف حضر إلى هنا للتفتيش من إدارة العمل . فقل له إنك تساعد فى المحل بدون أجر . حتى لا تطرد من أمريكا . . وحتى لا يقع علينا عقاب وغرامة . . أو أننا سوف نبعدك عن المحل « مؤقتاً » حتى يخرج وينصرف . . !

خرجت من هذا المحل فى طريق عودتى إلى غرفتى فى « بيت الشباب » وشهيتى مفتوحة للطعام . . شعرت أننى قد حققت نجاحاً كبيراً أستحق عليه أن أملأ معدتى بأحسن أنواع الأكل . . « مكافأة » لها على تحمل الجوع . . وأحسست أيضا أن جسدى وعينى فى حاجة إلى . . « مكافأ » مماثلة ، ومن الواجب أن يستريحا من المجهود الكبير الذى بذل فى التعب . . والبكاء . .

ذهبت أولا إلى أحد المطاعم وجلست إلى إحدى الترابيزات وطلبت ما أشتهى إليه من طعام . وأكلت ثم دفعت بقشيشاً . . وانصرفت إلى غرفتى فى بيت الشباب لأنام . .

وفى ساعة مبكرة من اليوم التالى ركبت القطار من إحدى المحطات الموجودة تحت الأرض وذهبت إلى عملى الجديد . وفوجئت أن صاحب المحل وشركاءه يكنسون وينظفون المحل بأنفسهم . . ! !

طلب منى أحدهم أن أخلع « الجاكيت » وأضعه على الشماعة . . وأن أرتدى بدلا منه « بالطو » أبيض . . وفعلت كما طلب . .

ثم قال لى : إن مهمتك أن تستقبل الزبائن وتحاول أن تبيع لهم . . وأخذنى من يدى واقترب من « ميزان » يعمل بالكهرباء وهو الذى يضع عليه مشتريات الزبائن

وأخذ يعلمنى طريقة الوزن . . والأسعار التى تبدو واضحة فى الميزان أيضاً . .

شعرت أن عملى فى هذا المحل سهل جداً . . بل إننى تمنيت أن أستمر فى هذا العمل فترة طويلة من الزمن أكسب من ورائه بعض الأموال التى تساعدنى فى حياتى القادمة . . والغامضة . .

بدأت الزبائن تتوافد على المحل واحداً بعد الآخر حتى أن المحل – برغم ضخامته – كان دائماً وباستمرار فى حالة شديدة من الزحام وتكدس الناس !

بعد عدة أيام من اشتغالى فى هذا المحل جاء يوم « السبت » وهو يوم العطلة الأسبوعية . . وتبين لى أن المحل يفتح أبوابه فى هذا اليوم . . بل إن يوم السبت يعتبر أهم يوم بالنسبة للمحل . حيث إن جميع الزبائن يذهبون إلى هذا المحل بالذات لشراء كل ما يلزمهم وما يحتاجون إليه من بقالة . . أو عطارة . . أو غيرهما من الأشياء المصرية . . والعربية . .

وهذا اليوم أيضاً – وهو يوم السبت – يكون الزحام على أشده فى المحل . .

وقفت كعادتى كل يوم أبيع للزبائن – المصريين . . والعرب – وأبذل كثيراً من النشاط غير المعتاد . .

وفجأة . . وجدت فى مواجهتى بعض الأصدقاء والزملاء من الذين كانوا يعملون بالصحافة فى القاهرة يدخلون المحل لشراء بعض الحاجيات . . ! !

دق قلبي بسرعة . . وشعرت بحرج كبير جداً لهذا الموقف . وأخذ كل منهم يسألنى سؤالاً :

أحدهم سألنى : كيف خرجت من مصر . . وكيف سمحوا لك بمغادرة القاهرة . . ؟

وآخر سألنى وكأنه لا يصدق وجودى أمامه . . ألست أنت فلان . . . ؟

وشعرت بحرج شديد وأنا أقف بينهم .. واستشعر ثالثهم بحالتى وارتباكى فقال : أرجو ألا تشعر بأى حرج من هذا العمل .. إننا جميعاً اشتغلنا فى بداية حياتنا هنا فى أعمال لا تتناسب معنا أبداً .. وكنا مثالك الآن .. المهم أن تكسب وتعيش .. وتشعر بحريتك فى هذا البلد ..

وخشيت أن أذكر لهم أننى حضرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية دون هجرة .. وأننى أعمل فى هذا المحل دون أن يكون معى بطاقة إقامة .. أو بطاقة عمل ..

المهم : سألت كلا منهم عن طلباته .. وماذا يريد .. ؟ وقمت بتجهيز طلبات كل واحد منهم مما يحتاج إليه من علب فول مدمس .. وحلاوة طحينية .. وجبن .. وزيتون .. وعدس ..

والذى أضحكنى وفى نفس الوقت أثار اشمئزازى أن أحدهم قال لى وأنا أضع حاجياته على الميزان .. «تبقى أتوصى شويه – إحنا بلديات» ! !

قبل أن أنصرف فى نهاية يوم السبت .. ناولنى صاحب المحل «مظروفاً» مغلقاً وقال لى : هذا أجرك عن الأسبوع الذى اشتغلته .. وفتحت المظروف بعد خروجى من المحل فوجدت بداخله مائة دولار .. !

ظللت أعمل فى هذا المحل ما يقرب من شهر حتى اكتشف أحد موظفى إدارة العمل فى نيويورك أننى لا أحمل بطاقة إقامة .. فطلب منى صاحب المحل أن أهرب فورا من المحل .. فخرجت مسرعاً وركبت القطار إلى غرفتى فى بيت الشباب ..

وفى اليوم التالى اتصلت تليفونياً بصاحب المحل فطلب منى أن أحضر لاستلام أجرى عن الأيام التى اشتغلتها .. وذهبت إليه فأعطانى أجرى مضافاً إليه مبلغ آخر .. مع تمنياته لى بالتوفيق ..

داخل ثلاجة . . بمحل فاكهة . . !

بعد خروجى من محل البقالة . . عاودنى الشعور باليأس . والإحساس بالمرارة من الحياة فى أمريكا . .

ولكن : ماذا أفعل . . ؟ ليست أمامى دولة أخرى ألجأ إليها . . إن أى دولة فى العالم سوف تغلق الطريق فى وجهى مادمت أدخلها عن غير الطريق الشرعى والرسمى وهو « الهجرة » . .

إن الدولة الوحيدة فى العالم التى ترحب بالمهاجرين من كل دول الكرة الأرضية هى الولايات المتحدة الأمريكية . . غير أننى لست مهاجراً حتى ترحب بى وتفتح لى ذراعيها . . وأجد الطريق مفتوحاً أمامى بسهولة للعمل مثل بقية المهاجرين . .

ماذا أفعل . . ؟ لقد قررت مرة أخرى أن أواصل الكفاح والبحث عن عمل وأن أطرد اليأس من حياتى . .

خرجت إلى الشوارع من جديد . . اختلطت ببعض المصريين والعرب أسأل بعضهم عن وسيلة للبحث عن عمل . .

كتب لى أحد المصريين عنوان محل لبيع الفاكهة والخضراوات يقع فى أهم شوارع مدينة نيويورك وبالقرب من مبنى « مجمع الأتوبيسات » التى يسافر منها الناس إلى جميع الولايات الأمريكية . . !

قال لى وهو يسلمنى العنوان : هذا المحل صاحبه رجل أمريكى . ولكنه من أصل إيطالى ، ويشتغل عنده شاب مصرى يعمل من الساعة السابعة مساء كل يوم حتى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى . . وهذا الشاب يبحث عن شخص آخر

يساعده ويتحمل عنه العمل والسهر بضعة أيام كل أسبوع . .

أخذت العنوان ، وتوجهت إلى إحدى دور السينما لمشاهدة فيلم ، ولتضييع الوقت حتى تحين الساعة السابعة مساء . وهو الموعد الذى يتسلم فيه هذا الشاب المصرى عمله فى محل الفاكهة . . وبعد أن انتهى عرض الفيلم خرجت من السينما وسرت على قدمى فترة طويلة حتى وصلت إلى محل الفاكهة . .

نظرت إلى المحل من بعيد فوجدته كبيراً جداً . . وفى خارج المحل توجد كميات هائلة وضخمة من الفاكهة والخضراوات بعضها وضع فى علب من الكرتون ، وبعضها الآخر مرصوص على منصة كبيرة . . وقد شغلت كل هذه الكميات من الفاكهة والخضراوات جزءاً كبيراً من الرصيف . .

لقد عرفت من خلال كل هذه البضائع المطروحة على جانب من الرصيف لماذا يظل المحل مفتوحاً طوال الأربع والعشرين ساعة . .

إن صاحب المحل لو أراد أن يدخل كل هذه الكميات الهائلة من الفاكهة والخضراوات إلى داخل المحل كل يوم بعد انتهاء العمل فى النهار فسوف يحتاج ذلك إلى عدة ساعات . . ونفس الوقت سوف يستغرقه فى الصباح أيضاً إذا أراد إخراجها من داخل المحل . . ولهذا فهو يترك محله مفتوحاً طوال الليل ، فهذا أوفر له من ناحية الوقت وأجر بعض العمال الذين يتولون نقل كل هذه البضائع . .

تركت الرصيف الذى كنت أسير عليه واخترقت الشارع إلى الجانب الآخر حيث يوجد محل الفاكهة ، وتقدمت من الشاب المصرى الذى كان يقف داخل المحل مفتوناً بطول قامته وجسمه الممتلئ . . وقلت له باللغة العربية : مساء الخير

رد على قائلا : أهلا . . مساء الفل . . أنت مصرى . . ؟

قلت : نعم . .

رحب بوجودى ثم قال لى : أى خدمات تحت أمرك . .

قلت أبلغنى أحد المصريين أنك فى حاجة إلى شخص يتحمل عنك متاعب السهر بضعة أيام فى الأسبوع . . فهل هذا صحيح . . ؟

قال : نعم هذا صحيح . . أين هو . . ؟

قلت : أنا . .

قال :

أهلا وسهلا . . . وقبل أن يسترسل فى الحديث قلت له : هناك مشكلة يجب أن تعرفها أولا . .

قال : ما هى . . ؟

قلت : إننى لست مهاجراً . . وليس معى بطاقة إقامة . . أو بطاقة عمل . . ثم شرحت له ظروفى كلها . .

ابتسم الشاب المصرى وقال لى : ولا يهمك . . أنا كنت زيك برضه كده . . لقد حضرت إلى أمريكا على ظهر مركب كنت أعمل عليه ثم قررت البقاء فى مدينة نيويورك . . ثم أخذت « ألطّش » فى كل محل شوية لمدة ثلاث سنوات ، وأخيراً وجدت أن أحسن طريقة أو حلٌ للخروج من هذه المشكلة هى أن أتزوج من أمريكية . . وقد تزوجت فعلا من فتاة كنت أعرفها . .

ثم قال لى : طيب لماذا لا تتزوج من أى واحدة أمريكية وتخرج من الأزمة التى أنت فيها . . ؟

قلت له : لا . . إن لدى فكرة عن المرأة الأمريكية أنها صعبة . . ومتسلّطة . . وشخصيتها قوية على زوجها . . ثم إن لديها من الحرية ما يجعلها تتصرف دون رأى زوجها . . وأشياء أخرى كثيرة سمعتها . .

قال : كلامك صحيح . . وأنا شخصياً غير مستريح مع زوجتى وتعبان جداً فى حياتى معها ، ولكننى متحمل كل هذا من أجل أن أحصل على الإقامة لأننى تزوجتها منذ شهور قليلة ولم تنته بعد الإجراءات الخاصة بالموافقة على الإقامة الدائمة فى أمريكا . .

ثم أخذ يسترسل فى الحديث عن حياته لمدة ثلاث ساعات كاملة باستثناء بعض الوقت كان يتركنى فيه للبيع لبعض الزبائن . .

كنت كلما استأذنه فى الانصراف يقول لى : انتظر أنت وراك إيه . . أنت لازم تقف معايا طوال الليل علشان تتعلم إزاى تبيع برغم أن العملية دى سهلة جداً زى ما أنت شايف . . كل حاجة تضعها على الميزان ثم تعرف من الميزان الثمن . . أما المعلبات وبعض الأشياء الأخرى التى لا تحتاج إلى ميزان فالثمن مكتوب عليها . . كل ما تحتاج إليه هو أنك تأخذ بالك من « اللصوص . . والحرامية » لأن البلد دى مليانة . . ! !

الحقيقة أنه كانت لدىّ فكرة عن مدينة نيويورك بأنها مدينة مروّعة والناس فيها بناموا من بعد غروب الشمس خشية السرقة والسطو والتهجم عليهم فى الطرقات وضربهم بالمدى أو السكاكين ، أو غيرها من الأسلحة . .

كل ما سمعته لم يؤثر فىّ ولم يكن يخيفنى أبداً إلى جانب الرعب الذى كنت فيه وقلق على مستقبلى . .

قال لى « سمير » وهذا هو اسم الشاب المصرى ابن الإسكندرية الذى يعمل فى محل الفاكهة : أنا عايزك تيجى بكره بدرى شويه عن الساعة السابعة مساءً حتى أقدّمك لصاحب المحل وسوف أكون موجوداً هنا من الساعة السادسة من أجلك . .

ثم قال لى : صاحب المحل راجل أمريكى ولكنه من أصل إيطالى . . وهو راجل طيب جداً . . وعايز أقول لك حاجة كمان . .

قلت : ما هى . . ؟

قال : سوف تتحمل عنى العمل ثلاثة أيام فى الأسبوع وهى الأيام « الميّتة » ! !

قلت : لا أفهم معنى « الميّتة » . .

قال : دائماً حالة العمل فى أمريكا كلها أيام الاثنين . . والثلاء . . والأربعاء – تكون ضعيفة وأعتقد أن هذا يناسبك وأحسن لك حتى تتعود على تردد الزبائن . . والبيع لهم بهدوء ولا ترتبك فى أيام الزحام . .

قلت : وهو كذلك ثم انصرفت وأنا مرتاح نفسياً وركبت القطار من محطة قريبة من المحل وذهبت إلى بيتى وأنا أدعو « الله » طوال الطريق أن يوفقنى فى هذا العمل . ولا يكون هناك أى اعتراض أو مشكلة تحول دون تسلمى هذا العمل . .

صحوت من نومى فى اليوم التالى وأنا أدعو « الله » أن يستر طريقى وأن يكتب لى البقاء فى أمريكا . . وأن أحصل على الإقامة الدائمة حتى تهدأ نفسى وتستقر حياتى . .

مرة أخرى ذهبت إلى محل الفاكهة فى الموعد الذى حدده لى سمير . . فوجدته يقف مع رجل أنيق يرتدى ملابس فاخرة . ويبدو عليه من مظهره أنه « سيناتور » أمريكى . .

عندما شاهدنى « سمير » قال لى باللغة الإنجليزية : تعال . . ثم قدمنى إلى هذا الرجل الذى تبين لى أنه صاحب المحل . .

سألنى صاحب المحل عن اسمى ثم أخذ يتحدث معى عن أحوالى وظروفى . .

وقال لى : أرجو أن تقف مع سمير فى المحل هذه الليلة حتى تتعلم استعداداً للعمل «غداً» وسوف أعطيك أجر هذه الليلة . .

ثم قال لى الرجل : لقد حدثنى سمير عن ظروفك . . وإذا ثبت لى أنك إنسان كويس فسوف أتولى جميع أمورك ولا تخش شيئاً . . !

الحقيقة أننى لا أعرف لماذا قال لى هذا الرجل مثل هذا الكلام . . وما هو الهدف من ورائه . . وما هى مصلحته فى حمايتى . . هذا الكلام شغل تفكيرى ، ولكنه فى نفس الوقت أعطانى شيئاً من الثقة فى نفسى ، والطمأنينة على مستقبلى . .

وانصرف «هنرى» وهذا هو اسم صاحب المحل . وهو يحيينى وتركنى مع «سمير» .

بدأت من هذه الليلة أتمرن على العمل . . وكان أول شىء فعلته هو أن طلب منى «سمير» أن أخلع الجاكتة وأظل بالبنطلون والقميص ، لأن المحل «مكيف» والجو جميل ، وحتى لا تعوقنى «الجاكتة» عن الحركة فى المحل . . ويدأ سمير يطلب منى أن أبيع للزبائن ، وجلس هو على كرسى يشاهد برامج التليفزيون من خلال جهاز موجود بالمحل . . وظللت أواصل العمل حتى الساعة السابعة صباحاً ، ووصل صاحب المحل وسألنى عن حالتى . . وحالة الشغل . واطمأن أن كل شىء على مايرام . .

بعد ثلاثة أسابيع من عملى فى المحل طلب منى «هنرى» أن أعمل بمفردى طوال أيام الأسبوع بدلا من سمير لأنه ترك المحل . .

سألته عن سبب خروج سمير وتركه العمل . .

قال : إنه سيسافر مع زوجته إلى ولاية أخرى للعمل هناك . .

ثم سألني هنرى مرة أخرى : هل تستطيع العمل بمفردك . . ؟

قلت : نعم . .

قال : سوف أمنحك عشرة دولارات أخرى فوق الثلاثين دولاراً وهو أجرك اليومى . . ! !

وقف معى «هنرى» لمدة بضع ساعات داخل المحل ليقف على طريقة معاملتى للزبائن . . وكيف أبيع لهم . . وكيف أتصرف . .

وقبل أن ينصرف قال لى : اسمع يا «ياشى» سوف تستمر معى فى هذا المحل على طول ، ولا تخش أى شىء . . إننى معجب جداً بطريقة تعاملك مع الزبائن . .

قلت له : لقد قلت لى الآن كلمة لا أعرفها . . ولا أفهم معناها . . ما معنى كلمة «ياشى»

قال : إنها تعنى «العفريت» بلغة المافيا . . ! !

وهنا أدركت خطورة هذا الرجل . . والسر وراء قوته ومظهره . . وقوله لى : لا تخش أى شىء . . والحقيقة أن المخاوف بدأت تراودنى من جديد على حياتى ومستقبلى والعمل مع رجل يبدو عليه أنه من كبار رجال «المافيا» فى أمريكا . . وهذه العصابة منتشرة فى جميع مدن الولايات المتحدة الأمريكية ولها نفوذ قوى لدى كل الدوائر فى أمريكا . . حتى البوليس ، والقضاء . . والنيابة . . وأعضاء الكونجرس . . !

لقد قرأت فى الصحف أن كل من يعمل فى هذه العصابة يكون تحت رقابة شديدة جداً . ، وإذا حاول الخروج منها . . أو التمرد عليها كان مصيره القتل . . !

ثم قلت فى نفسى : إننى لست واحداً من العصابة . . ولست مشتركاً فيها .

لأن كل الذين يعملون فيها لا بد أن يكونوا من أصل إيطالىّ . . وأنا لست إيطالياً . . ثم إننى أشتغل . . بائعاً فى محل ، وليس لى أى دور أو نشاط . . أو أكلف بشيء . . واقتنعت . . أو أقنعت نفسى بأننى لست إلا بائعاً مثل سمير أو غيره من الأشخاص الذين يعملون فى هذا المحل فى فترة النهار وعددهم حوالى خمسة عشر شخصاً جميعهم من الإسبان . .

أنا . . . ورجال الشرطـة . . !

ظللت أعمل فى محل الفاكهة حوالى عامين دون أن يقترب منى أى إنسان . . وكنت فى منتهى السعادة لأننى كنت أعمل بمفردى وليس لى رئيس عمل « يشخط أو ينطر » أو يطلب منى إنجاز بعض الأعمال أو إرهاقى بالعمل الكثير مثل كل رئيس عمل فى أمريكا . . !

ولكن الذى كان يخيفنى دائماً هو دخول أحد من رجال الشرطة إلى المحل . . فقد كان كل ضابط أو شرطى يدخل المحل لشراء أى شيء أشعر برجفة شديدة ، وخوف من أن يسألنى عن بطاقة الإقامة . .

ولذلك : أردت أن أحمى نفسى من هذا الخوف فكنت أرفض دائماً أن آخذ ثمن أى سلعة يشتريها كل رجال الشرطة . . والذى أدهشنى أن واحداً منهم لم يعترض على ذلك . . أو يصر على الدفع مثلاً بل إن الأمر قد وصل إلى درجة أن عدداً كبيراً منهم كانوا يترددون على المحل كل مساء ، ويدخل كل واحد منهم ويتجه على الفور إلى حيث توجد شنط الورق الكبيرة ، ويأخذ « شنطة » يفتحها ثم يمسكها فى يده وهو يطوف أرجاء المحل ويملأ الشنطة بكل ما يشتهى ويريد من

فاكهة وخضراوات وفى النهاية ينصرف وهو يقول لى : شكراً يا صديق . . !

لقد أبلغت صاحب المحل بكل ما يحدث من تصرفات رجال الشرطة - كل ليلة - حتى يستريح ضميرى فإذا به يقول لى : لا تعطهم شيئاً . . !

قلت له : إننى فى حاجة إلى حمايتهم لى لأن الشارع الذى يقع فيه المحل برغم أنه من أهم وأكبر شوارع مدينة نيويورك - وهو شارع ٣٢ مع ٤٢ - إلا أنه بعد منتصف الليل يزدحم بالسكارى و «المساطيل» ومدمنى المخدرات . . ونساء الليل . . والمجرمين . . . ورجال الشرطة وحدهم هم القادرون على حمايتى . . وابتسم «هنرى» وضحك كثيراً وهو يضع يده على رأسى قائلا : «برافو» عليك يا شى . . . يعنى يا عفريت . . . !

ذات ليلة وأنا أقف بالمحل أباشر عملى فى عملية بيع الفاكهة والخضراوات للزبائن شاهدت عدداً من السيارات الفاخرة تقف كل منها وراء الأخرى على جانب من الرصيف الملاصق للمحل . نزل من كانوا يقودون السيارت واتجهوا إلىّ ودخلوا إلى المحل . . كان هؤلاء الناس - وعددهم خمسة - يرتدون بدلا فاخرة ومظهرهم يدل على أنهم يحتلون مراكز كبيرة أو يشبهون فيما يبدو أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى . . نظروا جميعاً إلىّ وهم يوجّهون إلىّ التحية . . كنت فى ذلك الوقت أبيع لأحد الزبائن . . وبعد أن انتهيت من عملية البيع وانصرف الزبون تقدم واحد من هؤلاء الرجال الخمسة وهو يبتسم وقال لى : هل لديك «مانجو»

قلت : نعم . . هذه هى وأشرت إليه بيدى إلى حيث كانت توجد «المانجو» فى مكانها من المحل . . صاح الرجل بأعلى صوته وقال : أوه . . إن حبات المانجو فى هذا المحل كبيرة جداً ثم أمسك بواحدة منها وسألنى عن سعرها . .

قلت له : إن ثمن الواحدة منها ثلاثة دولارات . . ! فصاح مرة أخرى وهو يهز

رأسه موافقاً . . ثم أمسك بحبات المانجو وأخذ يناول زملاءه كلا منهم واحدة . . ثم عاد يسألنى : هل لديك «سكين» . . ؟

قلت : لماذا . . ؟

قال : إننا سوف نأكل هذه الحبات هنا فى المحل . . ثم نأخذ بعد ذلك ما نريده منها معنا . .

كنت أعرف أنه ممنوع على أى بائع فى أى محل أن يعطى «الزبون» سكيناً أو أى نوع من الأسلحة حتى لا يستعملها ضده أو يهدده بها ، ثم يقوم بسرقة ما يريده من المحل تحت تهديد السلاح . .

ولكن نظرتى إلى هؤلاء الرجال الخمسة جعلتنى أطمئن إليهم من خلال مظهرهم . . . وعلى الفور أخرجت لهم «سكيناً» كنت أخفيها بالقرب من المكان الذى أقف فيه وناولتها لأحدهم وقام كل واحد منهم بعملية قطع «حبّة» المانجو التى فى يده . . . ثم سألنى أحدهم أيضاً عما إذا كان لدىَّ بعض «الملح الأبيض» وناولتهم زجاجة الملح فأخذوا جميعاً يضعون الملح على المانجو ويأكلونه كما هى عادة الأمريكان حيث يضعون الملح على كل ما هو «حلو» مثل البطيخ «ويضعون السكر» على الأطعمة والمخللات . . ! !

بعد أن انتهى الرجال الخمسة من التهام حبات المانجو طلب كل منهم عشر حبّات أخرى ، وضعتها لهم فى أكياس من الورق . . وانصرف الواحد بعد الآخر وبقى معى الرجل الخامس يتحدث معى . .

وفجأة قال لى وهو يبتسم : معذرة يا صديقى فقد نسيت أن أدفع لك حساب المانجو التى أخذتها أنا وزملائى . . كم تريد . . ؟

قلت : ثلثمائة وخمسة عشر دولاراً . .

قال : هل تقبل شيكاً بالمبلغ . . ؟

قلت : لا بأس . . فقد جرى العرف على ذلك فى كل مكان بالولايات المتحدة الأمريكية . .

قال : إذن . . أستأذن منك فى دقيقة واحدة لأحضر دفتر الشيكات من سيارتى . . وخرج من باب المحل واتجه إلى سيارته . . وفى لمح البصر كان الرجال الخمسة قد ركبوا سياراتهم وأسرعوا هاربين . . ! !

أدخلنى اللصوص الثلاجة . . !

كانت الساعة تقترب من الثانية صباح أحد الأيام وأنا أجلس على كرسى داخل محل الفاكهة وأمامى جهاز التليفزيون أشاهد من خلاله «فيلما مخيفاً» من الأفلام التى تعرضها إحدى محطات التليفزيون بعد منتصف الليل . . فوجئت بثلاثة من الشبان الصغار يبلغ عمر كل واحد منهم نحو ثمانية عشر عاماً . . وقف أحدهم خارج المحل . . ودلف الآخران إلى داخل المحل . . اقترب أحدهم منى وأخرج «مسدسا» من جيبه وأمرنى أن أفتح ماكينة الفلوس التى أستعملها فى حساب البضائع والمشتريات التى أبيعها للزبائن . . لم أقاوم . . ولم أحاول المراوغة فقد جرت العادة – كما سمعت من الكثيرين وقرأت فى الصحف – أن يستسلم أى إنسان إلى اللصوص ويعطيهم ما يريدون . فحياة الإنسان هناك أغلى من الأموال . . ثم إن جميع المحال . . أو المؤسسات . . أو البنوك . . أو الشركات مؤمن عليها ضد السرقات وغيرها . .

وجرت العادة أيضاً فى جميع أنحاء المدن بالولايات المتحدة الأمريكية أن يختفى

« الصراف » أو من يقف على خزينةٍ كل الأموال التى لديه أولا بأول ولا يترك شيئاً فى الخزينة إلا بضعة دولارات يصرف بها أموره وذلك خشية سطو اللصوص عليهم . .

نظر « اللص » الذى شهر مسدسه فى جانبى إلى درج ماكينة الأموال وأخذ ما فيها من دولارات وكان المبلغ حوالى ثلاثين دولاراً – وكنت قد أخفيت « كالعادة » كل الأموال تحت بعض صناديق الفاكهة –

قال لى اللص : أين بقية الأموال . . ؟

قلت : أخذها صاحب المحل . . فقد مرّ علىّ منذ قليل وتسلمها . . ثم رفع الدرج الموجود داخل الماكينة ليتأكد من وجود دولارات أخرى تحته فلم يجد شيئاً . والغريب أنه فى هذه اللحظة دخل إلى المحل سائق تاكسى ليشترى بعض الحاجيات . . فأخفى « اللص » المسدس فى جيبه ووقف بجانبى . . وقمت أنا بكل هدوء بعملية البيع للسائق وأخذت منه الحساب – الذى استولى عليه اللص بعد ذلك – ثم انصرف السائق دون أن يشعر أو يحس . . أو يتنبّه إلى وجود هؤلاء اللصوص . . وأعتقد أننى لو قمت بأى حركة ضد اللصوص محتمياً فى السائق لكان مصيرى القتل برصاصة من المسدس ومعى السائق أيضاً . . وهذا ما أكده لى بعد ذلك كل من عرف هذه الحكاية . . !

المهم : أن اللص بعد أن استولى على الدولارات الموجودة فى الماكينة طلب منى . . أو بمعنى آخر « أمرنى » بالدخول إلى داخل المحل وسار خلفى . . ثم تقدم اللص الآخر وفتح باب « ثلاجة كبيرة جداً » فى حجم غرفة أى منزل وهى التى يحتفظ فيها بالخضراوات طازجة للمحل . ثم أغلق علىّ باب الثلاجة من الخارج . . !

ظللت داخل الثلاجة حوالى عشرين دقيقة حتى تجمد الدم فى عروق وكدت أموت . . ولقد حاولت خلال هذه الفترة أن أضرب الباب بيدى حتى يسمعنى أحد دون جدوى . . إن باب الثلاجة مصنوع من الخشب وهو سميك جداً . . وحاولت الصياح أيضاً فلم يسمعنى أحد . .

وفجأة . . . انفتح باب الثلاجة ووجدت فى مواجهتى بعض رجال الشرطة . . خرجت من الثلاجة وأنا أرتعد من شدة البرودة . . فقد مرت علىّ بداخلها ثلاثون دقيقة فقدت فيها كل أمل فى النجاة . . أو الحياة . . جلست فترة داخل المحل حتى تهدأ أعصابى ويعود الدم إلى عروقى . . ثم طلب منى رجال الشرطة أن أذهب معهم إلى القسم للتعرف على صور اللصوص . . !

قبل أن أذهب مع رجال الشرطة إلى القسم سألت أحدهم : من الذى أبلغكم بالحادث . . ؟

وقبل أن يجيب رجل البوليس عن سؤالى دخلت سيدة إلى المحل وقالت لى : لقد شاهدت اللصوص فى آخر لحظة وهم يدفعون بك إلى داخل المحل . . لقد كنت أقف خلف زجاج النافذة فى الشقة المواجهة لك فى هذا المبنى . . أنتظر عودة زوجى الذى تغيب عن موعد وصوله إلى البيت . . واتصلت برجال الشرطة على الفور.

وصحبنى رجال الشرطة إلى قسم البوليس لأتعرف على اللصوص من خلال الصور التى عرضت على ولكننى أنكرت معرفتى بأى واحد منهم . . فقد جرى العرف بين الناس على إنكار معرفة اللصوص والمجرمين من خلال صورهم حتى لا يتعرضوا للقتل . . أو الاغتيال بعد ذلك . .

وبدأ رجل الشرطة فى فتح المحضر وسألنى : ما هى جنسيتك . . ؟

قلت : مصرى

قال : هل أنت مهاجر . . ؟

قلت : نعم . . !

قال : أين بطاقة الإقامة . . ؟

قلت : سرقها اللصوص ضمن أوراق أخرى كانت معى . . ! !

وبعد أن انتهى من كتابة المحضر بالحادث طلب منى ضرورة الحضور فى اليوم التالى لاستكمال بعض الأشياء . . وعدت إلى المحل بسيارة الشرطة . . واتصلت بصاحب المحل أبلغه بما حدث فكان جوابه : «ولا يهمك» وسوف أحضر فى موعدى . . ! !

طبعاً ماذا يضير صاحب المحل مادام مؤمناً عليه .. وعندما وصل «هنرى» إلى المحل فى الصباح كالعادة . . عرف منى كل ما حدث بالتفصيل . . وطلبت أجرى وتركت المحل نهائياً . . حتى لا ينكشف أمرى فى عدم وجود بطاقة إقامة معى . . وحتى لا يطاردنى اللصوص . . !

نهاية المتاعب . . !

استبد الخوف بى . . وتملكنى شعور بالذعر بعد أن حبسنى اللصوص فى «الثلاجة» . . وخروجى من المحل الذى كان مصدر رزقى ، وأصبحت لاأعرف ماذا أفعل . . ولقد ضاعف من شعورى بالخوف هو إحساسى بأن رجال البوليس ربما يعرفون – من خلال إدارة الجوازات – أننى لست مهاجرا وليس من حق الإقامة فى الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الطريقة غير الرسمية . . وغير المشروعة . .

فقد لجأت إلى أحد الأصدقاء وعرضت عليه الأمر . . صحبني هذا الصديق إلى « محام » كبير في مدينة نيويورك – وهو مختص في شئون المهاجرين – وعرض عليه قصتي وطلب منه مساعدتي . . هز المحامي رأسه وقال لي : أمامك طريقان لاثالث لهما ولابديل لك عنهما . . إما أن تتزوج من أي امرأة أمريكية وتدفع لها ماتطلبه منك . . وإما أن تشتغل في أي مهنة تتعلق بلغتك العربية . . ؟ !

ثم قال لي المحامي قبل أن أغادر مكتبه : لو اخترت الطريقة الأولى وهي : الزواج فلابد لك من محام يتولى أوراق هذه القضية لدى الجهات المختصة . .

وسألته في تعجب : وما الحاجة إلى « محام » إذا كان الشخص الذي يريد الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة الأمريكية سوف يتزوج من أمريكية وهي طريقة مشروعة ومعترف بها رسمياً . . ؟

أجاب وهو يهز رأسه لتأكيد مايقول : إن أي جهة لن تقبل أوراق الزواج إلا إذا كانت عن طريق محام . . !

وسألته مرة أخرى : وكم من الأموال يطلبها المحامي ليتولى مثل هذه الحكاية . . أوالقضية كما تسميها . . ؟

وقال : حوالي ألف دولار . . ! !

وسألته مازحاً : ألف دولار بالزوجة . . أم من غير زوجة . . ؟

قال : لاأفهم ماذا تقول . . أوتقصد . . ؟

قلت وأنا أبتسم حتى لاأشعره بالحرج من وراء سؤالي : يعني هل يتولى المحامي البحث عن زوجة أيضا مقابل هذا المبلغ الضخم ؟

لم يقبل المحامي هذا النوع من « الهزار » أو لم يأخذ الموضوع أوكلامي على أنه نوع من الفكاهة التي تعودنا عليها في الحديث . . فغضب ونهض من فوق كرسي

مكتبه ومد لى يده قائلا : مع السلامة . . !

خرجت من مكتب المحامى ومعى صديق الذى أخذ يعاتبنى على الكلمات التى قلتها للمحامى والتى أوقعته هو الآخر فى حرج وسببت له شيئاً من الضيق وقال لى ونحن سائرون فى الطريق : إن الأمريكان ياعزيزى لايعرفون . . « الهزار » مثلكم . . ثم إنهم يعرفون قيمة الوقت الذى يمر عليهم فى حياتهم وهذا هو السبب الذى جعله ينهى الحديث . . وإذا أردت أن تعرف قيمة الوقت فى حياة الأمريكان . . ومعنى كل دقيقة تمر عليهم . . فانظر إلى كل الناس الذين يسيرون على أرصفة الطرقات فى أى شارع أوطريق . . إنك تراهم يسيرون بسرعة وكأن الواحد منهم يريد الهروب من شىء . . أواللحاق بشخص آخر . .

ثم قال صديق : كان المفروض أن تعرف ذلك بعد أن مرّ عليك أكثر من عامين فى هذا البلد . . أوفى مدينة نيويورك ، وإذا كانت مشاغلك أومتاعبك أوهمومك قد جعلتك لاتلاحظ قيمة الوقت . . فن الواجب أن تضع فى اعتبارك من الآن احترام المواعيد وقيمة الوقت . . !

الحقيقة أننى لم أغضب لما حدث من « المحامى » الذى طردنى من مكتبه بطريقة لطيفة عندما نهض من فوق كرسيه وأنهى الحديث بينى وبينه . . ولم أغضب أيضا من صديق الذى أعطانى « درساً » فى كيفية التعامل مع الناس ، وضرورة احترام الوقت والمواعيد . .

كل هذه الأشياء وغيرها لايمكن للإنسان أن يتعلمها إلا عندما تصادفه مشاكل . . أويقف مثلما وقفت أنا فى بعض الأمور الحرجة . . أويضع نفسه فى أزمات . . أويقول كلاماً لايقدر عواقبه . . أويتحدث فى مسائل لايفهمها . . أويهزل فى وقت الجد . . أويمزح مع إنسان لايعرفه . . أويجلس مع بعض الناس

من رجال الأعمال ويطيل فى الحديث ولايقدر قيمة الوقت وثمن كل دقيقة تمر عليهم . .

قلت فى نفسى هذا الموقف . . وماسمعته من كلام كنت فى حاجة إليه لأضعه فى حساباتى ضمن التجارب الكثيرة التى مررت بها خلال العامين اللذين قضيتهما حتى الآن فى مدينة نيويورك . . إنها دروس لايمكن للإنسان أن يعرفها أويتعلمها فى المدارس أوالجامعات . ولكنها تأتى عن طريق التجارب الشخصية والاختلاط بالناس . .

استأذن صديقى فى الانصراف ونحن نسير معاً فى الطريق وطلب منى دوام الاتصال به ليعرف ماوصلت إليه بشأن الإقامة الدائمة فى أمريكا . .

لفت نظرى وأنا أسير بالطريق « لافتة » معلقة على باب إحدى (العمارات) الكبيرة مكتوب عليها « مكتب للإيجار » تماماً مثل اللافتات التى كان يضعها أصحاب (العمارات) والمبانى على ممتلكاتهم منذ سنوات طويلة ومكتوب عليها « شقة . . أوشقق للإيجار » . . !

لقد خطر لى وأنا أتطلع إلى هذه اللافتة المعلقة على الباب الرئيسى لهذه العمارة أن أستأجر هذا المكتب – إذا كان إيجاره رخيصا – وأحاول أن أصدر منه صحيفة عربية أحررها بنفسى.. وأقوم بطبعها فى أى مطبعة « أوفست » من المطابع الكثيرة الموجودة فى مدينة نيويورك .

واتجهت على الفور ناحية العمارة . . وتقدمت من الباب وسألت عن « البواب » فقال لى من سألته وهو يشير بأصبع يده إلى داخل العمارة : هذا الباب الذى هناك افتحه وسوف تجد بواب العمارة بداخله . .

مشيت خطوات داخل العمارة حتى وصلت إلى الباب وفتحته فإذا بى أشاهد

رجلاً أنيقاً يجلس إلى مكتب فاخر مكيف وفى داخل الغرفة بعض الكراسى الجلد الفاخرة . . تراجعت وحاولت أن أغلق الباب خلفى وأعود إلى حيث أسأل عن البواب من جديد . . وقبل أن أغلق الباب نظر إلىّ الرجل الذى يجلس إلى المكتب وسألنى :

ماذا تريد . . ؟

قلت : من فضلك . . أين بواب العمارة . . ؟

قال : أنا . . ماذا تريد . . ؟ !

اعتقدت فى البداية أن الرجل يريد أن يمزح . . أويسخر منى . . أويحاول تضييع الوقت بالحديث معى . ولكننى سرعان ماتذكرت أن الأمريكان لايعرفون الهزار فى العمل . . فتقدمت من الرجل وسألته عن « المكتب الخالى » المعلن عنه على باب العمارة . . وإيجاره الشهرى . . ؟

قال لى البواب : هذا المكتب عبارة عن غرفتين صغيرتين فى الطابق الرابع من العمارة التى تتكون من خمسة عشر طابقا . وإيجارهما الشهرى ثلثمائة دولار . . أما كتابة العقد فهذا ليس من اختصاصى ولكن يتفق عليه مع إدارة الشركة التى تتولى شئون العمارة . .

وقال البواب وكأنه يريد أن يثبت لى مكانته . . وسر جلوسه إلى هذا المكتب : إن عملى ينحصر فى رئاسة البوابين الآخرين بالعمارة . . والاتصال بالمسئولين فى الإدارة المسئولة عن صيانة هذه العمارة . . !

الواقع أننى فرحت عندما سمعت من البواب قيمة إيجار المكتب . وقلت فى نفسى : ثلثمائة دولار كل شهر ليس بالشىء الكثير أوالكبير . . إنها فرصة أن أستأجر هذا المكتب وأصدر منه صحيفة عربية وهذا ماطلبه « المحامى » وهو أن أعمل فى

أى مجال يتعلق باللغة العربية . والذى لايتوفر لأى أمريكي القيام به وبذلك تنتهى مشكلتى وأحصل على الإقامة الدائمة .

طلبت من البواب عنوان الإدارة . . وذهبت إلى هناك ، وكان فى تقديرى أننى سوف أقابل موظفاً آخر فى مكتب مماثل لمكتب بواب العمارة . . ولكننى فوجئت بأن هذه الإدارة تحتل « طابقا » فى عمارة ضخمة جدا ، وفيها عدد كبير جداً من الموظفين والموظفات وسألت عن المدير . . أوالرجل المسئول . . وأشار لى موظف إلى مكتب السكرتيرة وتقدمت منها وأخبرتها بما أريد . .

قالت السكرتيرة : إن المدير مشغول بكثرة المواعيد اليوم . . وغداً . . وأعطتنى موعدا لليوم الثالث . . ! !

قلت لها : إننى أخشى أن يتقدم أحد غيرى لاستئجار المكتب خلال هذين اليومين .

قالت : اطمئن . . إن المواعيد التى أمامى كلها تتعلق بأشياء أخرى غير تأجير هذا المكتب . . وخشيت أن أسألها : هل كل شيء بالدقة إلى هذه الدرجة . . ولكننى تراجعت أوترددت فى سؤالها حتى لاأقع فى حرج مرة أخرى . . ؟ أوأسمع كلمة مجرحة أومؤلمة كما حدث لى فى مكتب المحامى . .

انصرفت من مكتب السكرتيرة إلى خارج المبنى حيث أخذت طريقى إلى الشارع وظللت أسير فى الشوارع والطرقات والميادين لعدة ساعات دون أن أشعر بأى نوع من التعب أوالإرهاق ، ولاأعرف الدافع أوالسبب الذى جعلنى فى هذه المرة أركز نظرى على وجوه الناس الذين يملئون الشوارع ، وهم يسيرون على أرصفة الطرقات . . تنبهت بعد فترة أن سبب هذا التركيز يرجع إلى ماقاله لى صديقى – بعد خروجنا من مكتب المحامى – بأن الوقت فى حياة الأمريكان له قيمة وكل دقيقة تمر

من حياة أى إنسان لها ثمن . وهذا مايجعلنى أنظر إلى وجوه الناس لأعرف من خلالها أثر الوقت على تصرفاتهم .

كل الناس يسيرون على أرصفة الشوارع وكل واحد منهم يزاحم الآخر ويحاول أن يسبقه أويتقدمه . . بعض الناس تصطدم أكتافهم ببعض دون أن ينظر الواحد منهم إلى الآخر ليشتمه -كما يفعل بعض عندنا- أوليعتذر له . . . السيدات والفتيات يتخلين عن طبيعة الوقار فى السير ، ويتدافعن إلى المطاعم لتناول وجبة الغداء . . أوشراء بعض مايلزمهن من المحال فى ساعة الراحة . . لاأحد يقف أمام فترينات المحال لمشاهدة المعروضات وماستجد عليها من « الموديلات » الحديثة . . !

وفى الفترة التى أعقبت انتهاء ساعات العمل تشاهد الموظفين يخرجون من (العمارات) الموجودة بها مكاتبهم يتدافعون جرياً إلى محطات الأتوبيسات . . أومحطات السكة الحديد الموجودة تحت الأرض ، وكأنهم جميعا على موعد فى بيوتهم . . نفس اللهفة والحرص على المواعيد حتى عند رجوعهم إلى منازلهم . .

بعض هؤلاء الناس يجرى حرصاً على وجوده فى منزله فى الموعد الذى اعتاد عليه كل يوم . .

وبعضهم الآخر أوأكثرهم للحرص على تناوله وجبة العشاء بين أفراد أسرته كل مساء . .

وبعضهم لمشاهدة حلقة من المسلسلات التى يعرضها التليفزيون فى وقت معين من كل مساء . .

وآخرون لغرض آخر وهو أن يجد لنفسه مكاناً يجلس فيه فى القطار حتى لايضطر إلى الوقوف طوال المسافة إلى منزله لفترة طويلة . .

وفريق آخر يجرى بسبب حاجته إلى الراحة ليلقى بنفسه على سريره فى البيت من شدة الإرهاق والتعب فى العمل طوال اليوم . .

وهناك نوع مختلف من الموظفين يتجهون إلى « البارات » — وهم طبقة العزاب غير المتزوجين — ليجلسوا إلى « البار » على المقاعد الموجودة فى المحل ليحتسوا الويسكى أوالبيرة ويروحوا عن أنفسهم بالشرب والحديث عن مشاغل العمل . . والقرف الذى يعانونه من الرؤساء . .

مجتمع غريب وعجيب لاأحد فيه يعرف الراحة أوالتسكع فى الطرقات . . أوالجلوس فى الأندية أوالمقاهى . .

إن الفرصة الوحيدة التى يشعر فيها كل إنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية بحاجته إلى الراحة والهدوء هى « يوما السبت والأحد » وهما اليومان المخصصان لعطلة نهاية الأسبوع . .

إن جميع الموظفين فى أمريكا يغادرون منازلهم فى الصباح فى طريقهم إلى الحدائق أوالبحيرات المنتشرة فى كل المدن . . وبعضهم يفضل أن يقضى هذه العطلة خارج المدينة ثم يعود إلى منزله فى نهاية العطلة ، وقد شعر أنه قد فعل شيئاً كبيراً فى حياته جدد به نشاطه استعداداً للحركة المستمرة والجهد والشقاء الذى سوف يبذله من جديد فى عمله طوال الأسبوع !

هناك يوم فى الأسبوع يشعر فيه كل أمريكى أوغير أمريكى — من الذين يعيشون فى الولايات المتحدة الأمريكية من الموظفين — أن هذا اليوم « كريه » إلى نفسه . ولو كان الأمر بيده لحذفه من أيام الأسبوع . . هذا اليوم هو « يوم الاثنين . . ! »

إنه اليوم الذى يعقب عطلة نهاية الأسبوع ويبدأ فيه العمل . . !

إننى لم أشعر بهذا اليوم خلال العامين اللذين قضيتهما فى بداية حياتى بمدينة

نيويورك . . لأن أيامى كلها كانت عملاً وشقاءً وتعباً . . ولكننى لمست ذلك من خلال أحاديث كل الناس الذين يعملون فى البنوك أوالشركات . . أوالمؤسسات . . أوالحكومة . .

وهذا اليوم أيضاً – وهو يوم الاثنين – يعتبر يوماً كريهاً كذلك عند أصحاب المحال والتجار لأنه فى عرفهم يوم «كساد» فى البيع أوالشراء . !

انتهت المدة التى حددتها لى سكرتيرة مدير الشركة التى تتولى إدارة العمارة التى سأستأجر فيها مكتباً . . وعدت إليها ثانية لمقابلة المدير . . دخلت إلى الرجل فى مكتبه وتحدثت معه بشأن استئجار المكتب . . نظر إلىّ من خلال النظارة الطبية التى كان يضعها على عينيه وقال لى : ماذا ستفعل فى المكتب . . ؟

قلت : سوف أصدر منه صحيفة عربية للجاليات العربية الموجودة فى نيويورك . .

قال : ماهى جنسيتك . . ؟

قلت : مصرى . .

قال : يعنى عربى . . ؟

قلت : نعم . .

قال : نحن لانؤجر مكاتبنا لعرب . . !

قلت : لماذا . . ؟

قال : أنا أعرف أن ما أقوله يخالف العرف والقانون وهو رفض تأجير مكتب لك . . ولكن لأنك إرهابى . . ! !

ودهشت لهذا الكلام الذى لايستند إلى أى شىء من الحقيقة ، خاصة أننى لم أقابل هذا «المدير» من قبل أويعرف عنى أى شىء . . ثم قلت له : أنا لست

إرهابياً ولاأعرف على أى أساس قلت ذلك . . إننى صحفى مصرى وقد حضرت إلى هنا لأعيش كما يعيش كل الناس .

قال : ليس عندى وقت للمناقشة . . ونهض من مكتبه وكأنه يقول لى : مع السلامة . . أو اخرج بره . . !

انطلقت إلى الشارع وأنا حزين لهذا المصير الذى وصلت إليه لقد أغلق فى وجهى آخر أمل كنت أتعلق به . . وهدانى تفكيرى أن أذهب إلى صديقى الأمريكى الذى يعمل فى إحدى الصحف وأعرض عليه الأمر . . وتوجهت إليه على الفور ، وأبلغته بكل ماحدث . . أمسك الصديق بدفتر التليفونات وأخرج منه رقم تليفون مدير الشركة وأخذ منه موعداً فى اليوم التالى . وذهبت بصحبته . . ودخل صديقى إلى مدير الشركة وأنا معه ودار بينهما حديث عرف المدير من خلاله كل ظروف منذ غادرت القاهرة حتى لحظة وجودى معه فى مكتبه . .

وأخيراً طلب مدير الشركة من صديقى الصحفى الأمريكى أن يوقع بإمضائه على تعهد يضمن فيه عدم قيامى بأى نوع من الشغب . . أوإثارة الفوضى . . أوالاضطرابات داخل العمارة الموجود بها المكتب الذى سوف أستأجره . . ! وكتب صديقى التعهد . . ووقعت أنا على عقد إيجار المكتب وأنا فى سعادة بالغة . . ثم انصرفت . .

مضت أيام قليلة ذهبت بعدها إلى العمارة وقابلت البواب – الذى عرفت منه أنه قد علم من الإدارة باستئجارى المكتب – وسلمنى المفاتيح . . وبدأت فى مباشرة نوع من العمل . . ذهبت إلى صديقى الأمريكى وطلبت منه أن يوكل لى « محاميا » يتولى شئون قضية إقامتى . . صحبنى – بعد اتصال تليفونى – إلى محام كبير متخصّص فى شئون الهجرة وتحدث معه بشأنى . .

قال لى المحامى : أولاً . . سوف أحصل منك على مبلغ خمسة آلاف دولار من أجل أن أحصل لك على الإقامة الدائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . . وأخذ يعد على أصابعه قائلاً :

ثانياً : أريد هذه الأوراق . وأمسك ورقة وقلماً وأخذ يكتب بعض الأوراق التى لابد من تسليمها إليه لتقديمها إلى إدارة العمل . . ثم إدارة الهجرة . .

ثالثاً : اكتب لى الاسم المقترح للصحيفة التى تنوى إصدارها حتى أكشف أولاً وأعرف هل يوجد فى ولاية نيويورك صحيفة عربية أخرى تحمل نفس هذا الاسم . . ثم أحصل لك بعد ذلك على رخصة بإصدار الصحيفة . .

رابعاً : لا تفعل أى شيء حتى أبلغك بعد أيام . . وبعد أن انتهى من سرد هذه الطلبات . . قال لى وهو يبتسم : من الآن اطمئن تماماً على وجودك فى هذا البلد فلن يستطيع رجال البوليس . . أو إدارة الهجرة طردك من الولايات المتحدة . . هذا إذا وافقت على المبلغ الذى طلبته . .

وقبل أن ينتهى من حديثه قال لى وكأنه يطمئننى . . المبلغ الذى طلبته منك وهو خمسة آلاف دولار سوف تدفعه « بالتقسيط » حسب اجتهادك وسأحصل منك على ما يضمن حقوقى . . ثم هز رأسه وهو يقول : إن كل شيء هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية « بالتقسيط » حتى لو كنت مليونيراً لأن الضرائب تكون مرتفعة عندما يدفع الإنسان مشترياته بالنقد . . ! !

وسألنى المحامى عما إذا كنت الآن فى حالة مالية تسمح لى أن أدفع جزءاً من المبلغ الذى حدده فوعدته بإحضار مبلغ خمسمائة دولار فى اليوم التالى . . وعند ذلك أعطانى بطاقة تحمل اسمه وأرقام تليفونات مكتبه وقال لى : لو تعرضت لشيء . . أو تعرض لك أحد من رجال إدارة الجوازات . . أو الشرطة فقدم له هذه

البطاقة ليتصل بى . .

بعد أيام من لقائى مع المحامى . . اتصل بى تليفونيا وقال لى :

« مبروك » لقد حصلت لك على موافقة من إدارة العمل الأمريكية فى نيويورك « بالإقامة المؤقتة » ومزاولة عملك الصحفى الجديد . . وحصلت لك أيضا على رخصة لإصدار صحيفة عربية تحمل اسم « الشرق الأوسط » وسوف أرسل موافقة إدارة العمل إلى إدارة الجوازات والجنسية فى نيويورك ، لأحصل لك منها على الموافقة المبدئية أيضاً فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى تصدر صحيفتك . .

صحيفة عربية فى نيويورك

عندما أصدرت أول عدد من الصحيفة التى أصدرتها فى مدينة نيويورك باللغة العربية واخترت لها اسم « الشرق الأوسط » كان هدفى الأول هو الحصول على الإقامة الدائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . .

لقد أبلغنى « المحامى » الذى تولى قضيتى أننى لابد أن أشتغل فى عمل لايتوفر لأى أمريكى القيام به حتى لا أسد الطريق أمام أى أمريكى متعطل عن العمل . . وهذا هو القانون أوالنظام المعمول به فى الولايات المتحدة الأمريكية أوأتزوج من أمريكية . . وبلا أى تردد فضلت العمل عن الزواج . .

جلست فى مكتبى أفكر : كيف أصدر هذه الصحيفة ؟

وهل يوجد فى مدينة نيويورك مطابع عربية . . ؟

وماهى الكمية التى يجب أن أطبعها . . وهل هناك قانون يحدد هذه الكمية . . ؟

وهل يتقبل أبناء الدول العربية فى مدينة نيويورك وبقية الولايات الأخرى أن

يقرءوا صحيفة يصدرها مصرى . . ؟

وماهى المواد الصحفية التى يجب أن أنشرها فى الصحيفة . . ؟

هل تكون كل المواد الصحفية عن مصر ، خاصة أن هناك جالية مصرية كبيرة تعيش فى مدينة نيويورك ومدينة نيوجيرسى وهى أقرب ولاية لمدينة نيويورك . . ؟

أوتكون أكثر المواد الصحفية عن الدول العربية كلها ومن بينها مصر . . ؟

وماهو لون أوسياسة الصحيفة : هل تكون كل المواد عن السياسة . . أوأخبار الدول العربية . . أخبار العرب والجالية العربية فى أمريكا . . ؟

وأين هى المواد الصحفية أوالمصادر التى أحصل منها على أخبار أبناء الدول العربية ؟

وماهى وسيلة توزيع الصحيفة بعد طباعتها . . ؟

وأين هو « الخطاط » الذى يجب أن يكتب المانشيت الرئيسى للجريدة . . ثم العناوين الأخرى التى تتعلق بالموضوعات . . ؟

وماهى تكاليف الطباعة . . ؟

وهل ياترى أستطيع الحصول على إعلانات من أصحاب المحال العربية الموجودة فى مدينة نيويورك قبل صدور العدد الأول . . وماهو الضمان أوالوسيلة التى تجعلهم يطمئنون لى ويثقون فى مهمتى . وإننى جاد فى عملى وليست وسيلة للنصب والاحتيال . . ؟

دارت فى ذهنى كل هذه الأسئلة وغيرها وأنا جالس إلى مكتبى بعد تأثيثه وإعداده . وإذا بى أجد نفسى فى دوامة أخرى من الأسئلة المتلاحقة كالموج . .

من يساعدنى فى هذا العمل وهل يقبل أى مهاجر مصرى من الذين أعرفهم أن يقوم بأى عمل يخفف عنى كل هذه المتاعب . . ؟

وكان الجواب : طبعاً لا . . لن يقبل أى إنسان يعيش فى أمريكا كلها أن يضيع من وقته دقيقة واحدة ليقدم فيها أى جهد أوعمل لوجه الله ، وخاصة أن كل دقيقة لها قيمتها وثمنها . . !

ثم إن هناك أعمالاً أخرى يجب أن أقوم بها إلى جانب إصدار الجريدة . . وهى كتابة خطابات إلى عدد كبير من المهاجرين المصريين والعرب الموجودين فى الولايات الأخرى لأبلغهم فيها أننى أصدرت صحيفة وأطلب منهم الاشتراك فيها . .

ثم ماهى قيمة الاشتراك السنوى فى الجريدة . . وماهى تكاليف البريد . . و . . و . . إلخ . .

وأخيراً . . نهضت من فوق كرسى مكتبى وأنا على إصرار شديد فى أن أصدر الصحيفة . . وأن أقوم بكل هذه الأعمال بمفردى مهما تكن المتاعب والمصاعب والعقبات . .

خرجت من المكتب وذهبت إلى مكتب تليفونات قريب من مكتبى وطلبت من أحد الموظفين رغبتى فى تركيب تليفون بالمكتب الذى استأجرته فأشار إلى مكتب آخر بالمبنى وأبلغنى أن هذا المكتب هو المختص بتركيب التليفونات . . دخلت المكتب فوجدت فتاة تجلس إلى مكتب أنيق وأبلغتها رغبتى وعلى الفور قدمت لى « استمارة » لأملأها . . وقبل أن أكتب أى حرف فى الخانات الموجودة بالاستمارة سألتها . .

هل ياترى سيتم تركيب التليفون خلال هذا العام . . وكنا فى شهر مارس تقريباً ؟

ونظرت إلى الموظفة باستغراب وهى تفتح عينها فى دهشة وتبتسم لى وكأنها

تسخر من سؤالي وقالت : التليفون سوف يتم تركيبه « غدا » ولكن عليك أولا أن تكتب « شيكا » بمبلغ مائة دولار سوف تستردها ثانية بعد ثلاثة أشهر من تركيب التليفون وإذا لم يكن معك دفتر شيكات الآن فيجب عليك أن تعطى هذا الشيك بالمبلغ إلى الموظف الذى سوف يحضر إلى مكتبك « غدا » ومعه العدة لتركيب التليفون . . ! !

ملأت الاستمارة وقدمتها إلى الموظفة وأنا فى ذهول وحيرة وتساؤل :

هل هذا معقول . . ؟ هل من المعقول أن يتم تقديم طلب لتركيب تليفون . ثم يركب التليفون خلال ٢٤ ساعة . . ثم يرد المبلغ إلىّ ثانية بعد ثلاثة أشهر إذا ثبت لإدارة التليفونات أننى أستعمل التليفون فى حدود المكالمات المسموحة لى . . ؟

تركت مكتب التليفونات وأنا لاأصدق ماسمعته من الموظفة . . وفى نفس الوقت سعيد جداً بأول خطوة نُجحت فيها مما خفف عنى الهموم والآلام والمشاكل التى كنت أشعر أنها ثقيلة على نفسى . .

ذهبت بعد ذلك أتجوّل فى بعض الشوارع فى حى مانهاتن ، والذى أعرف أنه يوجد به مطابع كثيرة وأخذت أسأل العاملين فيها عن كيفية وإمكان طبع صحيفة عربية بطريقة « الأوفست » .

سألنى بعضهم عن حجم الصفحات – وسألنى بعضهم الآخر عن الكمية . . ورفض آخرون طبع صحيفة تصدر باللغة العربية . .

وهنا وجدت أننى أمام مشكلة أخرى وهى « حجم الصحيفة » . .

هل تكون الصحيفة فى حجم كبير مثل « الأخبار » والأهرام . . أوفى حجم صغير مثل معظم الصحف الأمريكية . . ؟

وقررت على الفور أن تكون فى حجم صغير أى فى حجم الصحيفة اليومية فى

مصر وهى مطبقة قبل فرد صفحاتها . . أى فى حجم المجلات الأسبوعية . . ثم إن مثل هذا الحجم هو الذى اتفق على أنه « الصحف الحديثة » التى لا يجد القارئ صعوبة فى فردها فى أثناء جلوسه فى القطار . . أو الأتوبيس . .

وأخيراً : وبعد تعب وبحث طويل عثرت على مطبعة فى « الحىّ الصينىّ » بمدينة نيويورك تملكها سيدة صينية وقالت لى : إنها على استعداد لطبع الكمية التى أريدها على شرط ألا تقل هذه الكمية عن عشرة آلاف نسخة . . ! !

ثم قالت لى : إن طبع هذه الكمية سوف يكلفنى ألف دولار . . ! !

وأذهلنى المبلغ الذى سمعته . . ودارت فى ذهنى أسئلة أخرى . .

كيف أحصل على مبلغ ألف دولار كل أسبوع قيمة طبع هذه الكمية . . ؟

ثم إنه مطلوب منى إلى جانب هذا المبلغ الضخم مصاريف أخرى وهى : إيجار المكتب . . وأدوات كتابية . . ومصروفات انتقال . . وإيجار منزل . . و . . و . . إلخ .

حاولت أن أجعل هذه السيدة الصينية تخفض شيئاً من المبلغ الذى طلبته ولكن كان رأسها مثل الصخر . بل زادت على ذلك فقالت لى : نحن نعيش فى أمريكا ويجب أن تعرف أن الكلمة التى تسمعها واحدة . . وليس عندى وقت للمناقشة . . ويجب أن تقول لى الآن : موافق . . أو غير موافق ؟ ! !

ولم أجد أمامى غير الاستسلام لهذه المرأة القصيرة والقبيحة . . والتى لم أجد فيها شيئاً يمكن أن يدفعنى أو يجبرنى إلى أن أقول لها كلمة حلوة تفتح نفسها أو تثير فيها شيئا من القبول أو الرضا أو الراحة وتخفض من المبلغ . . ! !

قلت لها قبل أن أنصرف : موافق . . وردت علىّ وهى تفتح فمها عن ابتسامة خفيفة لتظهر منها أسنانها القبيحة الصدئة : متى ستحضر . . ؟

سوف أتصل بك عندما أكون مستعدا خلال أيام . .

عدت إلى مكتبي وقد شعرت أنني قد حققت شيئاً . . أو خطوت بعض الخطوات التي تجعلني أستمر في مهمتي الشاقة . .

كان الوقت قد اقترب من الثامنة مساء . . والعمارة التي يوجد بها مكتبي يجب أن تغلق بابها الرئيسي بعد أن انصرف كل الموظفين في المكاتب الأخرى . . فقد جرى العرف في جميع (العمارات) والمباني التي تشغلها مكاتب أن ينصرف الموظفون إلى منازلهم حتى يبدأ « الحراس » وغيرهم من عمال النظافة أعمالهم . . وقبل أن أنهض من فوق مكتبي سمعت طرقا على الباب . . وفتحت فإذا بي أجد أحد الموظفين المكلفين بحراسة العمارة يقول لي : لعلك تعرف أن جميع الموظفين قد تركوا مكاتبهم منذ فترة طويلة ولايوجد في هذا المبنى مكتب واحد مفتوح غير مكتبك . . !

اعتذرت له عن تأخري وانصرفت ليباشر عمله بالعمارة . .

عدت إلى منزلي وأنا أفكر طوال الطريق حتى ركبت القطار من تحت الأرض والذي سوف يوصلني إلى أقرب محطة للبيت . . وتناولت طعام العشاء ولم أفكر كالعادة أن أفتح التليفزيون لأشاهد بعض البرامج المسلية . . أوأستمع إلى نشرات الأخبار ، لقد قضيت طوال الليل في بحر من التفكير المتواصل في العمل الذي سوف أقوم به . . إنها مهمة شاقة . . ومتعبة وصعبة جداً . . كيف أقوم بمفردي بجمع الأخبار . . وكتابة الموضوعات أوالمقالات ، ثم كتابتها على الماكينة ، ثم جمع الصور ، ثم توضيب الصفحات ؛ ثم الذهاب إلى المطبعة لطبع الجريدة . .

وكيف أقوم أنا وحدي أيضاً بتوزيع هذه الكميات الضخمة من أعداد الجريدة على المحال العربية في جميع أنحاء مدينة نيويورك وكيف أدبر الوقت الذي سوف

أقضيه فى هذه الجولات الطويلة ، خاصة أن مدينة نيويورك كبيرة وضخمة ، ومساحتها تعادل مساحة مدينة القاهرة عشرات المرات . . وكيف أقوم بجمع الإعلانات . . و . . و . . و . . إلخ . .

لم أذق النوم طوال الليل من كثرة التفكير حتى طلع علىّ الصباح . .

كان أول عمل قمت به في الصباح أن ركبت القطار وذهبت إلى مبنى البعثة المصرية لدى الأمم المتحدة وقابلت الدكتور عصمت عبد المجيد سفير مصر الدائم لدى الأمم المتحدة ، وأبلغته بما قررت عمله من إصدار صحيفة عربية أسبوعية تحمل الرأى والخبر والمقال والموضوع لأبناء الجاليات العربية وخاصة أبناء مصر الموجودين بالولايات المتحدة الأمريكية . .

رحب السفير بالفكرة وأعرب لى عن سعادته وسروره لمثل هذا العمل . . ثم طلبت منه مساعدتى فى إمدادى ببعض الصحف المصرية اليومية ، وكذلك بعض الصحف العربية لأحصل منها على بعض الأخبار والموضوعات . . ومرة أخرى أبدى السفير تعاطفه واستعداده لهذا الطلب . . وفعلا نفذ السفير ماوعدنى به فوراً . .

ذهبت بعد ذلك إلى مكتبى لأبدأ العمل . . بعد جلوسى بحوالى نصف ساعة طرق باب مكتبى ، وفتحت الباب فإذا بى أجد رجلاً فى مواجهتى وهو يحمل فى يده علبة كرتون صغيرة ويقول لى : أنا موظف التليفونات . . ودخل الموظف وأخرج عدة التليفون من العلبة وأخذ يعبث ببعض الأسلاك الموجودة بالمكتب ، ثم أوصل سلكا منها بالفيشة الموجودة فى حبل التليفون وأجرى اتصالا مباشراً بالإدارة الرئيسية للتليفونات ثم سلمنى ورقة صغيرة مدون بها رقم التليفون . . وتسلم منى شيكاً بمبلغ مائة دولار قيمة اشتراك التليفون . .

والغريب أنني أخرجت من جيبي ورقة فئة عشرة دولارات وسلمتها للموظف وأنا أشكره على ماقام به . . فسألني : لماذا تعطيني هذا المبلغ . . ؟

قلت : هذا مبلغ بسيط مقابل أتعابك . . !

قال : آسف ياسيدى نحن لانأخذ « بقشيشاً » إنني موظف . . وهذا عملى . . وأنا أتقاضى منه راتباً مجزياً . . فلماذا بقشيش . . ورفض الموظف وأصر على رفضه قبول البقشيش . . ! !

جلست إلى مكتبي أقلب صفحات الجرائد المصرية والعربية التي حصلت عليها من السفير لأنتقى منها بعض الأخبار والموضوعات ، والحوادث التي تتناسب ومايفتقده المهاجرون المصريون والعرب في أمريكا . . وأخذت أمزق بعضها أو أفصله من الصحيفة لأنتفع به ، وأنقله إلى صحيفتي بعد إعادة صياغته من جديد . . وأحضرت بعض الورق ذى الحجم الكبير لأبدأ فى رسم أوتوضيب صفحات الجريدة . . والتي يطلق عليها فى عمل المجال الصحفى « الماكيت » . . وانتهيت من الصفحات الثمانية المخصصة للصحيفة وقد استغرق منى كل هذا العمل يوماً كاملاً شعرت فى النهاية بأننى قد أنجزت جزءاً كبيراً من المهمة الشاقة التي أتحملها وحدى . .

وقبل أن أنصرف من مكتبي ظهرت أوقفزت إلى خاطرى « مشكلة أخرى » غيرت مزاجي الذى كان فى حالة استرخاء ، ونشوة جعلتنى إنساناً قلقاً . . هذه المشكلة هى : من الذى سوف يقوم بمهمة كتابة كل الأخبار . . والموضوعات . . والمقالات . . وغيرها على « الآلة الكاتبة » والتي لابد أن تكتب بهذه الطريقة أولا قبل تصويرها ثم وضعها على صفحات الجريدة قبل طبعها . . ؟ !

إننى أجهل الكتابة على الآلة الكاتبة . . ثم إننى لوحاولت أن أتعلم لأقوم بهذا

العمل – الذى سوف يوفر علىّ مبلغا كبيراً يجب أن أدفعه إلى موظف – سأستغرق وقتاً طويلاً حتى أجيد مثل هذا العمل وهذا الوقت الضائع سوف يزيد من قلقى ومتاعبى بالنسبة لرغبتى فى الاستقرار من حيث طلب حصولى على الإقامة الدائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية . . ثم . . لهفتى الشديدة فى أن تصدر الصحيفة التى سوف تحمل اسمى إلى كل مصرى وعربى فى أمريكا . .

قلق جديد أضيف إلى متاعبى ومشاغلى وأحزانى . . وهمومى . .

عدت إلى منزلى فى المساء ، وأنا أدعو الله طوال الطريق أن يساعدنى ويكون معى ولايخذلنى . . وبكيت وأنا جالس بالقطار فى طريقى إلى البيت ، وأخرجت المنديل من جيبى لأمسح دموعى . وفجأة . . اقتربت منى فتاة جميلة وقالت لى باللغة الإنجليزية التى فهمت من خلال نطقها أنها ليست أمريكية الأصل :

من أين أنت . . ولماذا تبكى . . ؟

قلت : أنا مصرى . . وقبل أن أجيب عن بقية السؤال الذى وجهته لى هذه الفتاة قالت لى وهى تبتسم وتجلس بجانبى . . وأنا أيضا مصرية من القاهرة . .

ثم سألتنى : لماذا تبكى . . أرجو إذا كانت لديك مشكلة أستطيع أن أساعدك فى حلها إننى أقيم بمدينة نيويورك منذ سنوات . . وأشتغل فى أحد البنوك وأقيم مع أسرتى . . ثم سألتنى عن وظيفتى . . وهل أنا مهاجر . . أو فى زيارة . . ؟

الحقيقة أننى لاأعرف السر الذى جعلنى أستريح إلى هذه الفتاة . . ألأنها جميلة . . ؟ أم لأنها مصرية . . ؟ أم لأنها كانت إنسانة . . أم لأنها حاولت مساعدتى . . أم لأنها أبدت تعاطفها نحوى . . لاأعرف . . ؟

لقد جففت دموعى واستعدت ثقتى فى نفسى . . ورسمت على شفتى ابتسامة حتى لاأبدو أمامها بمظهر الرجل الضعيف . . ووجدت نفسى أحكى لها قصتى كلها

حتى اقترب القطار من المحطة التى سوف أنزل فيها . . وفوجئت بالفتاة تنزل معى . وسألتها عن وجهتها فقالت لى : إننى أقيم فى هذه المنطقة . . وسارت معى فى طريقى حتى وصلت إلى منزلها ، وقبل أن نفترق أعطتنى رقم تليفون منزلها . . وأبلغتنى أنها سوف تعرض الأمر على والدها . . وخطيبها حتى يمكن تدبير الأمر فى مساعدتى . . وفى اليوم التالى اتصلت بى الفتاة تليفونيا من منزلها وأبلغتنى أن والدها يريد مقابلتى ثم دعتنى إلى منزلها . . وذهبت إلى هناك والتقيت بوالدها وخطيبها . . وفى أثناء الحديث قال لى الرجل : إننى أريد مساعدتك فى إصدار صحيفة عربية فى مدينة نيويورك لأننى « عربى » مثلك وأحب مصر . . ثم أخذ يسألنى عن العقبات التى تواجهنى والغرض أوالهدف من إصدار صحيفة عربية . .

أنا يهودى . . !

قال لى والد الفتاة إن ابنتى قد روت لى ظروفك ومتاعبك وأنا على استعداد لتقديم كل مساعدة تطلبها ولكن : لماذا تصر على إصدار صحيفة عربية . ألاتعرف أن مثل هذه الصحيفة لوصدرت سوف تسبب لك متاعب كثيرة ، ربما تكون أكثر من المتاعب التى عانيتها أوتعانيها الآن . . ؟ !

قلت : ماهى المتاعب التى تقصدها ؟

قال : إنك بلاشك سوف تتعرض فى صحيفتك إلى الحديث عن السياسة . . والمشاكل أوالقضايا بين مصر وإسرائيل . . والفلسطينيين ؟ . .

قلت : هذا شىء طبيعى . وأعتقد أن أمريكا – كما هو معروف – بلد الحريات وليس هناك ما يمنع من النشر أو الحديث فى مثل هذه القضايا . . ثم إنه ليس من

غير المعقول أن أصدر صحيفة للجاليات العربية ولا أتحدث فيها عن مشكلة بلدى . . !

قال : إن الذى أقصده ليس هذا فأمريكا كما تقول . . بلد الحريات ولكننى أقصد أنك سوف تتعرض لمشاكل ومتاعب من جهتين إحداهما قوية . . والأخرى إرهابية ؟ !

قلت : أرجو أن توضح لى ماذا تعنى أو تريد . . ؟

قال : أحب أن أقول لك بصراحة «إننى يهودى» من أصل مصرى وأعيش هنا فى مدينة نيويورك منذ أعوام طويلة أو على وجه التحديد بعد حرب سنة ١٩٥٦ . . والمشاكل أوالمتاعب التى سوف تواجهك ستأتى من «اليهود» الذين ستتعرض لهم فى كتاباتك . .

أما الناحية الأخرى فهى الفلسطينيون الموجودون فى أمريكا أو فى مدينة نيويورك بالذات .

قلت فى تعجب : وهل يغضب الفلسطينيون من إصدار صحيفة عربية فى نيويورك . . ؟

قال : إنهم سوف يلتفون حولك ويحاولون «احتواءك» سواء بإغراء المال . . أو الإرهاب .لتنشر لهم ما يريدون . . وإذا رفضت فمن المؤكد أنهم سيحاربونك . . ! !

بعد فترة من الحديث مع الرجل شكرته على نصائحه ثم انصرفت وأنا أعتقد أنه يريد من وراء هذا الحديث صرف نظرى عن فكرة إصدار صحيفة عربية لأنه يهودى . .

خرجت إلى الطريق وأنا أفكر فى كل ما قاله لى هذا الرجل . . هل هو

صادق . . أو مغرض . . وحتى لو كان كلامه فيه شيء من الصراحة أو النصيحة فإن هذه مشكلة أخرى أضيفت إلى مشاكلى الكثيرة التى لا حصر لها والتى أواجهها بمفردى ولا أجد من يساعدنى أو أتشاور معه الرأى فيها . .

ذهبت إلى مكتبى فى اليوم التالى وكان أول شيء فعلته أن سألت بواب العمارة عن المحال التى تبيع آلات كاتبة . . وهل يمكننى أن أجد فى إحدى هذه المحال آلة كاتبة عربى . . ؟

كتب لى البواب عنوان محل يمتلكه رجل يونانى فى حى مانهاتن وقال لى : إنك سوف تجد فى هذا المحل آلات كاتبة عربى وأجنبى . . وعلى الفور ذهبت إلى هذا المحال وفعلا اشتريت آلة كاتبة عربى صغيرة حملتها فى يدى لأنها كانت موضوعة داخل شنطة جلد ، ولها يد مثل الشنط العادية ثم عدت إلى مكتبى وأنا سعيد . .

إن المشكلة التى واجهتنى بعد ذلك هى : كيف أكتب كل مواد الصحيفة وأنا لا أعرف استعمال الآلة الكاتبة . . . ؟

اتصلت بعدد من الأصدقاء والمعارف لأهتدى عن طريقهم إلى واحد يقوم بهذه المهمة التى تعتبر أهم عامل لإصدار الصحيفة . . وكان كل واحد منهم يعدنى بالبحث عن شخص يساعدنى فى هذا العمل . .

اتصل بى فعلا عدد من الشبان والفتيات مصريين وعربا أبدوا استعدادهم للقيام بالكتابة على الآلة الكاتبة فى غير أوقات عملهم ولكن : كان كل واحد منهم يسألنى . . كم ستدفع فى الساعة . . ؟ !

وكانت إجابتى لكل منهم أيضا : إننى مازلت فى بداية الطريق . . وليس لدى موارد غير الأموال التى ادخرتها خلال سنوات عملى القصيرة والتى أنفقها الآن من أجل الإقامة فى أمريكا . . ثم إصدار صحيفة عربية تكون لسان حال الجالية

العربية . . وكانت الإجابة من جانبهم طبعا هى « السخرية » من منطق رجل مثلى يعيش فى أمريكا ولا يعرف قيمة الوقت وأنه لا شيء فى أمريكا أو فى عرف الناس كلها اسمه « مجاملة » أو مساعدة مجانية . . أو حكاية « بلديات » . . ! !

لم أستسلم لليأس . . أو أستكين أمام هذه العقبات أو الصعاب . . لقد قررت على الفور أن أقوم أنا بهذا العمل وهو الكتابة على الآلة الكاتبة وقلت فى نفسى : ماذا لو أن الصحيفة تأخر صدورها عدة أسابيع حتى أكون قد تعلمت بنفسى على هذه الآلة ليل نهار . . وفعلا : كنت أقضى معظم وقتى بالنهار فى التدرب على الآلة الكاتبة . . ثم أحملها معى إلى منزلى لأواصل العمل أيضاً حتى ساعة متأخرة من الليل .. وبخلال أيام قليلة كانت أصابعى قد تدربت تماماً على استعمال كل حروف الآلة الكاتبة

لقد تعمدت عند صدور أول عدد من صحيفتى أن تكون نغمة الحديث والمقالات التى كتبتها « معتدلة » تماماً ليس فيها هجوم على أحد . . أو نظام . . أو هيئات أو شخصيات حتى لا أتعرض للمتاعب أو المشاكل أو رفض بعض العرب نشر إعلانات فى صحيفتى .

حملت الأعداد الأولى من المطبعة فى سيارة نصف نقل استأجرتها وأخذت أطوف بها على محال المصريين والعرب فى مدينة نيويورك ومدينة نيوجيرسى وهى أقرب ولاية لمدينة نيويورك والتى يحتشد فيها عدد كبير من المهاجرين المصريين والعرب . . وأترك فى كل محل عددا كبيراً من النسخ واتفقت مع أصحابها على السعر الذى سوف يشترون به كل نسخة وهو طبعاً أقل « خمسة سنتات » من سعرها العادى وهو ثلاثون سنتاً ونشرت فى هذا العدد إعلانات لبعض المحال المصرية والعربية بعد الاتفاق مع أصحاب هذه المحال أننى لن أتقاضى ثمن هذه الإعلانات

إلا بعد توزيع العدد . .

بعد صدور هذا العدد تلقيت عدداً كبيراً من المكالمات التليفونية من مصريين وعرب كل واحد منهم يبدى رأيه فى الصحيفة بعضهم يريد أن أستمر فى هذا العمل وأواصل المسيرة والكفاح لأن الجاليات العربية فى حاجة إلى مثل هذه الصحيفة . .

بعض آخر يطالبنى بإغلاقها وحجته فى ذلك أنها «مايعة» ليس لها لون أو هدف أو خط سياسى معين .

وفريق آخر يقول لى : استمر لمدة قصيرة حتى تحصل على الإقامة الدائمة فى الولايات المتحدة ثم أغلقها بعد ذلك وابحث عن عمل آخر . .

كنت أتقبل كل هذه الآراء وأنا أشكر كل صاحب رأى على أنه تفضل بالاتصال بى . . غير أننى قررت أن أستمر فى هذا العمل مهما تكن الظروف ومهما أواجه من متاعب أو صعاب فالعمل الصحفى هو مهنتى وفى دمى وحياتى كلها قضيتها فى هذا العمل الذى أحبه وأعشقه . .

إن الذى قوى من عزيمتى هو إحساسى أن هذا العدد قد صدر بعد كفاح ونضال وتعب وسهر وبكاء ليل نهار . . ثم إحساس أيضاً أن هذه الصحيفة مثل «ابنة لى» برغم أننى لست متزوجاً . . إنها منى . ومن دمى ومن أعصابى وثمرة كفاح .

موقف سفير مصر . .

لقد حملت أول عدد صدر من صحيفتى وذهبت به إلى الدكتور عصمت عبد المجيد سفير مصر الدائم فى الأمم المتحدة . وأطلعته عليه وقلت له : إننى غير راض عن هذا العدد لأنه كما ترى من خلال العنوان الرئيسى « المانشيت » فقد كتبته بخط يدى لأننى لا أجد « خطاطاً » .

لقد كان السفير المصرى رجلا عظيماً فى حديثه معى . . وكان مجاملا ومشجعاً للخطوة التى أقدمت عليها فى إصدار الصحيفة . . وطلب من أحد موظفى المقر الدائم أن يكتب لى « شيكا » بالاشتراك فى هذه الصحيفة لمدة سنة على أن يكون الاشتراك فى ثلاثين نسخة . .

كان هذا الموقف من السفير المصرى عاملاً كبيراً وله تأثير عظيم فى نفسى مما شجعنى أكثر فى أن أواصل الكفاح والعمل . .

قبل أن أنصرف من مكتب الدكتور عصمت عبد المجيد قال لى : أريد أن أقدم إليك نصيحة وهى : أرجو ألا تدخل فى مهاترات مع أى طائفة أو هيئة . . أو جماعة .. يجب أن تظل معتدلا . . وأن تكون مصرياً لأن العمل الذى تقوم به لا يقل عن عملى كسفير لبلدى . .

لقد أعجبت كثيراً بهذا الرجل . وبحديثه وكلامه وأحسست أننى أمام رجل يحب مصر أولا وأخيرا ، ويريد مصلحة مصر والخير لأبناء مصر . . وشكرت السفير على نصائحه . ومد يده لى وهو يشد على يدى متمنياً لى النجاح . .

بعد صدور عدة أعداد من صحيفتى كان لابد لى أن أقوم بجولة على الأندية العربية المختلفة الموجودة بمدينة نيويورك وفى ولاية نيوجيرسى أولا . . ثم بعد ذلك أقوم بزيارات أخرى لبعض الأندية الموجودة فى عدد من الولايات الأمريكية الأخرى لأعرفهم بنفسى وأقدم لهم صحيفتى وأستطلع آراء الذين ألتقى بهم فى الموضوعات والأخبار التى أنشرها . .

كانت أول زيارة لى قمت بها إلى النادى الفلسطينى فى حى بروكلين بمدينة نيويورك وكنت أعلم أن جميع الفلسطينيين أو عدداً كبيراً منهم يحضرون إلى ناديهم أو يجتمعون فيه مساء كل «يوم سبت» .

ذهبت إلى النادى مبكراً بعض الوقت بغرض الاجتماع مع رئيس وأعضاء مجلس إدارة النادى ، وتم اللقاء معهم وتعرفت عليهم ، ثم سلمت كل واحد منهم عدداً من صحيفتى وعرفت منهم أنهم قد قرءوها من قبل . . ثم طلبت منهم أن يقدمونى فى نهاية أو بداية اجتماعهم مع أعضاء النادى للتعرف عليهم وطلب تشجيعهم إذا كانوا يريدون الاشتراك فى صحيفتى . .

وانتظرت معهم حتى اكتمل عدد كل الأعضاء وكان عددهم يبلغ عدة

مئات . . وفى بداية الاجتماع تحدث رئيس النادى وقال بالحرف الواحد : ياشباب . . يوجد معنا الآن شاب مصرى وهو الأستاذ . . وذكر اسمى وقد أصدر صحيفة عربية هنا فى مدينة نيويورك ونحن نرحب به بيننا كشاب عربى . ونرحب بصحيفته . ونرجو إذا كان واحد منكم يريد الاشتراك فى الصحيفة فليتقدم الآن بدفع قيمة الاشتراك . . ولم يكمل الرجل بقية حديثه حتى فوجئت بعدد كبير من الشباب الموجودين فى قاعة الاجتماع يقف مندفعاً وثائراً . وهائجاً وهو ينادى بإخراجى من قاعة الاجتماع . . وصاح آخرون نحن لانريد مصريين معنا . . وقال فريق ثالث . . إننا لن نشترك فى صحيفة يصدرها مصرى . . . وقال فريق رابع : نحن سوف نحاربه ونمزق صحيفته لأننا نعرف أنه عدو لعبد الناصر . .

ثار الدم فى عروق وأنا أستمع إلى هذه الثورة العارمة ضدى والتى لم أكن أتوقعها أبداً وخاصة أنها تصدر من شباب عرب . . ووقفت لأرد على هذه الحملة بشدة وعنف ، ولكن سبقنى إلى ذلك رئيس النادى . . والوكيل . . وأمين الصندوق وهم رجال كبار السن ويمتلك كل واحد منهم عدة محال للتجارة ولهم تأثير كبير فى أوساط الفلسطينيين من حيث تأثيرهم المادى . .

الحقيقة التى لا أنكرها أن الرجال الثلاثة دافعوا عنى بكل حرارة . وكان دفاعهم يرتكز على أننى شاب مكافح . ثم إننى إذا كنت أهاجم عبد الناصر أو أعاديه أو لى رأى فى تصرفاته فكل واحد من الموجودين له رأى يختلف عن الآخر . . ثم قال رئيس النادى : أنا شخصياً كما تعلمون لا أحب عبد الناصر لأنه كان السبب فى كل الكوارث التى كانت نتيجتها ضياع أراضينا وتشريدكم جميعا . .

لم يستمع الشباب إلى ما قاله رئيس النادى أو الوكيل . . أو أمين الصندوق

واستمروا فى صياحهم وثورتهم علىّ ولم أحتمل هجوم الشباب واندفعت واقفاً لأقول لهم : إننى لم أحضر إلى هنا لأتسول منكم . . وإذا كان واحد منكم يريد بالاشتراك الذى سيدفعه أن يجعلنى تابعاً لكم أو خاضعاً لآرائكم فإننى أرفض هذا الاشتراك . . وأحب أن أسجل هنا أسفى لموقفكم المخزى فقد كنت أتوقع أن تأتى مثل هذه الثورة من « اليهود » وليس من عرب مثلكم . وتركت المكان وانصرفت وأنا حزين وغاضب وثائر ونفسى تتمزق من الداخل لهذه المعاملة السيئة التى قوبلت بها من شباب عرب وفى قلب ناديهم . .

كان هذا الموقف له تأثير كبير على نفسيتى . فقد قررت أن أقوم بحملة شديدة على «عبد الناصر» من خلال المقالات . والموضوعات التى أنشرها فى صحيفتى . وكان دافعى الأول هو كراهيتى الشديدة له منذ بداية الثورة . . ثم المشاكل والمتاعب والآلام التى واجهتها وما زلت أواجهها بسبب غربتى وتشريدى خارج أرض بلادى . . ثم كراهية فى الشباب الفلسطينيين الجهّال الذين لا يدركون حقيقة عبد الناصر . . ثم ليكون هناك صراع بينى وبين هؤلاء الرافضين أو الناصريين ومن خلال هذا الصراع على صفحات جريدتى يصبح للصحيفة لون سياسى معروف .

وفعلا : كان العدد الذى أصدرته بعد هذا اللقاء المثير بينى وبين هؤلاء الشباب الفلسطينيين يحمل عدداً من المقالات التى كتبتها وكشفت فيها بعض خفايا عبد الناصر . . ثم نقلت من بعض الصحف والمجلات العربية عدداً من التحقيقات الصحفية والأحاديث التى تهاجم حكم جمال عبد الناصر منسوبة إلى هذه الصحف والمجلات . .

وكالعادة قمت بطبع الصحيفة وتوزيعها على المحال العربية وعلى صدر صفحاتها

عناوين مثيرة تجذب القارئ إلى شرائها . .

وفى اليوم التالى اتصل بى تليفونيا عدد من أصحاب المحال المصريين وأبلغونى أن بعض الشباب من الفلسطينيين قاموا بتمزيق « اللافتات » التى كانت معلقة على واجهات محالهم تحمل اسم « جريدة الشرق الأوسط » بل هددوا أصحاب هذه المحال بمقاطعتهم إذا قاموا بعرض الجريدة للتوزيع على عملائهم أو الزبائن الذين يترددون عليهم . .

الواقع أننى حزنت ، وتملكتنى حالة من الغضب الشديد وأخذت أفكر فى كيفية مواجهة هذا الموقف وهل سيكون لمثل هذه التصرفات تأثير على توزيع الصحيفة بعد أن انتشرت وأصبح عدد كبير من المهاجرين يؤيدوننى . وبدأت رسائل كثيرة تصلنى من عدد كبير من المهاجرين المصريين والعرب فى بعض الولايات الأمريكية يطلبون الاشتراك فى الصحيفة . .

وبرغم ما كنت أعانيه من آلام نفسية إلا أننى قررت أن أستمر فى عملية الهجوم على حكم عبد الناصر مهما تكن النتيجة . . إننى لست أول من يهاجمه ولن أكون آخر من يهاجمه . . ثم إننى أهاجمه من واقع حبى لوطنى مثل أى مصرى يرفض تصرفاته التى أوصلت مصر إلى الخراب والدمار والإفلاس نتيجة الحروب والمغامرات الفاشلة وزاد من إيمانى وعزيمتى زيارة عدد كبير من المهاجرين المصريين لى فى مكتبى . . ثم الرسائل التى كانت تصلنى تؤيد وجهة نظرى . . بل الأكثر من ذلك تطوع عدد من المهاجرين بمساعدتى فى كتابة المقالات والموضوعات التى تتناول تصرفات حكم عبد الناصر . وبدأت أنشر هذه المقالات بصور وأسماء أصحابها ولم يؤثر ذلك فى انتشار الصحيفة . .

التهرب من الضرائب . .

يبدو أن التهرب من دفع الضرائب للدولة ليس فى مصر فقط . . ولكنه عملية احتيال يقوم بها كل الناس من كبار رجال الأعمال وغيرهم فى كل بلاد العالم حتى فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها . .

إن الحياة فى أمريكا سنوات طويلة علمتنى أشياء كثيرة لم أكن أعرفها أو أدركها أو لدى أدنى فكرة عنها .

يعنى مثلا . . بعد مرور عام على إصدار صحيفتى عرفت أنه لابد أن أجمع كل حساباتى من دخل ومصروفات وغيرهما مدعمة بالإيصالات والمستندات إلى إدارة الضرائب عن طريق محاسب قانونى يتولى هو تقديم كل هذه الأوراق بعد مراجعتها إلى الجهة المختصة . .

الحقيقة أنها كانت مفاجأة لى لم أكن أعرفها أو أتوقعها أو أعمل حساباتها . . .

ماذا أفعل . . ؟ إن كل ما اشتريته وأنفقته من مصروفات سواء فى تأسيس مكتبى . . أو مشتريات أخرى كثيرة خاصة بالصحيفة حصلت على إيصالات بها ، ولكن كل هذه الإيصالات مزقتها . . أو ألقيت بها فى مكان لا أعرفه . . أو ربما ألقيت بها فى الطريق اعتماداً على أننى لن أحتاج إليها بعد ذلك . .

لم أكن أعرف أبداً أنه يجب علىّ أن أحتفظ بكل ورقة أو إيصال – حتى لو كانت تذكرة ركوب أتوبيس أو قطار أو روشتة علاج عند طبيب . . كل ورقة أو إيصال مهما تكن ضآلة قيمته يجب الاحتفاظ به لتقديمه إلى مصلحة الضرائب لمراجعة حساباتك . . !

لقد ذهلت وأسقط فى يدى وأنا أستمع إلى هذا الكلام من صديقى الذى سألنى : هل قدمت إقرارك الضريبى عن الصحيفة التى تصدرها . . ؟

ولما عرف منى أننى لا أحتفظ بأى أيصال أو ورقة أو شىء غير إيصالات إيجار مكتبى «لطم خدوده» وقال لى : رحت فى داهية . . !

قلت له : وما العمل . . وماذا أفعل . . ؟

قال : عليك أن تذهب إلى مكتب أحد المحاسبين وتقول له كل الحقائق ربما يجد لك مخرجاً !

الحقيقة أننى شعرت أن كارثة سوف تدمر حياتى . وتضيع كل شىء وتهدم كل ماشيدته . وتقضى على مستقبلى الذى بدأ يزدهر وتغلق كل الأبواب التى أصبحت مفتوحة أمامى . .

إن التهرب من دفع الضرائب فى أمريكا جريمة كبيرة يمكن أن تقضى على حياة ومستقبل وسمعة أى إنسان مهما تكن قيمته . . ومهما يكن مركزه . وقفزت إلى ذهنى على الفور «الغلطة» التى وقع فيها «سبيرو أجنيو» نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى عهد الرئيس السابق نيكسون عندما تهرب من دفع ضرائب للدولة عن مكاسبه من ممتلكاته — وكانت بضعة آلاف فقط من الدولارات — وقامت الصحف الأمريكية بحملة واسعة ضده تتهمه بالتزوير وسرقة أموال الدولة . . وحاول هو من جانبه الدفاع عن نفسه بأنه قد نسى ذكر هذا المبلغ ضمن إقراره الضريبى . . إلا أن الصحف استمرت فى حملتها عليه حتى أجبرته فى النهاية على تقديم استقالته . . ودفع ما عليه من ضرائب . . ! !

عندما تذكرت هذه الحملة التى كنت أتابعها كل يوم فى الصحف انهارت أعصابى وشعرت بأن الأرض تدور من تحت قدمىّ : ماذا أفعل . . ؟

لقد شعرت بحالة من الضيق والقرف والكآبة وتركت مكتبي وقررت العودة إلى منزلى لأجرى بعض الاتصالات مع عدد من الأصدقاء ربما أجد من بينهم من يكون لديه حل يخرجنى من هذه الكارثة . . وفى أثناء سيرى فى الطريق التقيت « فجأة » برجل يهودى مصرى كنت أعرفه عندما كان يعيش فى مصر . . وصافحنى بحرارة وهو يشد على يدى ويسألنى عن أحوالى وعن سبب وجودى فى نيويورك . . ولاحظ الرجل أن حالتى غير طبيعية وأننى لا أرحب به بحرارة مثله فسألنى : ماذا بك . . إننى أراك مهموماً . . ماذا يشغلك . . وهل هناك ما يمكن أن أساعدك فيه . . ؟

كدت أن أبكى وأنا أقول له عن مشكلتى التى تتعلق بالضرائب . .

وبكل هدوء ابتسم الرجل وقال لى : دى حاجة بسيطة خالص ولا يهمك . . إنك لم تتهرب من دفع الضرائب ولكنها غلطة . إن أكثر الناس هنا حتى المليونيرات حرامية .

قلت له فى دهشة وقد هدأت نفسى قليلا كيف . . ؟

سوف أتولى أنا – لو أردت – تسوية حسابات ضرائبك . . لأننى محاسب . .

قلت له : ماذا ستفعل . . ؟

قال : أين مكتبك . . ؟ .

قلت : على بعد خطوات من هنا . .

قال : هيا بنا نعود إلى مكتبك لتقول لى ماذا صرفت . وماذا اشتريت . وماذا كسبت و . و . . إلخ

وعدت إلى مكتبى وجلس معى بضع ساعات قال لى فى نهايتها :

اسمع يا سيدى . . سوف أكتب فى الإقرار الضريبى أن أول عدد صدر من

صحيفتك قمت بتوزيعه «مجاناً» للدعاية . .

ثم إن كل الإعلانات التى نشرتها فى أول عدد أيضاً لم نحصل من أصحابها على ثمن نشرها «كدعاية أيضاً» وتشجيعاً لهم على النشر فيما بعد . . و . و . و . . ، وأخذ يعدد لى طرقاً كثيرة فى كيفية الخروج من الورطة التى كنت أشعر بها . .

ثم قال لى فى النهاية : إننى سوف أذكر فى الإقرار الضريبى أنك خسرت خلال هذا العام خمسة آلاف دولار . . ؟ !

قلت : كيف . . ولماذا . . ؟

قال : إن أى مشروع أو عمل يقوم به أى إنسان لا بد أن يذكر فى العام الأول أنه «خسران» لأن هذه الخسائر فى الأموال سوف تخصم من المكاسب التى سوف يجنيها أو يربحها أو يحصل عليها فى الأعوام القادمة بعد ذلك وعلى أقساط . . يعنى لابد لك فى الأعوام التى بعد ذلك أن تحقق أرباحاً ولا تقل إنك «خسران» وإلا فإن إدارة الضرائب والجهات الأخرى سوف تسألك : إذا كان مشروعك أو عملك يخسر ولا يحقق أى مكاسب فمن أين تنفق أو تعيش . وتبدأ جهات أخرى تتحرى عنك وعن مصادر دخلك وتقع فى مشكلة أخرى . . !

ثم قال لى : هل تعرف لماذا يتبرع يهود أمريكا لإسرائيل بملايين الدولارات كل عام . . ؟

قلت : لا . .

قال : كل هذه الملايين التى يتبرعون بها فى الحقيقة جزء من المكاسب التى حققوها من وراء مشروعاتهم . وحتى لا يدفعوا عنها ضرائب للدولة فإنهم يتبرعون بها لإسرائيل . . والتبرعات طبعاً معفاة من الضرائب . . ! !

ثم قال لى أيضاً : إن عدداً كبيراً من كبار رجال الأعمال الأمريكيين يربحون كل

عام مبالغ ضخمة من الدولارات . وحتى لايدفعوا عنها كلها ضرائب فإنهم يقومون برحلات سياحية حول العالم بحجة التوسع فى مشروعاتهم . . . أو يقومون بإجراء توسعات وإصلاحات وتجديدات فى هذه المشروعات أو الصناعات حتى يخففوا عن أنفسهم من قيمة الضرائب التى سوف يدفعونها للدولة . . !

لقد شعرت براحة كبيرة وأنا أستمع إلى كلام هذا الرجل وزالت عنى الكآبة التى أحس بها . . وقبل أن يغادر الرجل مكتبى قال لى : بعد ثلاثة أيام سأحضر إليك ومعى كل الأوراق التى تتعلق بالضرائب لترسلها بنفسك إلى الجهة المختصة . . وأنجز الرجل الأوراق وبعثت بها إلى إدارة الضرائب التى وافقت عليها . . ولم أطمئن إلا بعد أن وصلنى خطاب رسمى من الضرائب بتسوية حساباتى . . ! !

صراعات بين المصريين . . !

واصلت جولاتى فى زيارة الأندية المختلفة التى تمثل الجاليات العربية فى مدينة نيويورك للتعرف على أعضائها من ناحية . ثم تعريفهم بصحيفتى والغرض من إصدارها وهو أن يكون لنا جميعاً نحن المصريين والعرب رأى بين بقية الجاليات المختلفة والكثيرة والمنتشرة فى كل الولايات الأمريكية . والتى تصدر بدورها بعض الصحف التى تعبر عن رأيها . .

إن الشىء الغريب الذى أذهلنى وأدهشنى وجعلنى أشعر بالحسرة وخيبة الأمل أننى كلما ذهبت لزيارة أحد الأندية المصرية أو العربية وجدت خلافات وصراعات بين الأعضاء . . وكانت بعض هذه الصراعات تثار أمامى فى مناقشات حادة وحامية بين بعض الأعضاء وقد لمست أن هذه الخلافات أو الصراعات كلها

بسبب الاتجاهات السياسية المختلفة للأعضاء وبعضها يمثل المعارضة لسلوك رئيس النادى أو الجمعية أو الهيئة . .

لقد كنت دائماً أقف من كل هذه الصراعات موقف المحايد تارة وتارة أخرى أتدخل بحكم وجودى أو بدافع من بعض الأعضاء للمصالحة بينهم . . أو تهدئة الجو وتصفية ما يدور من خلافات . . وبعد أن يهدأ الجو أتحدث معهم بشأن المهمة التى حضرت إليهم من أجلها . . .

والشىء الغريب أيضاً أننى وجدت فى كل الأندية أو الهيئات التى قمت بزيارتها واجتمعت مع أعضائها رغبتهم أن تكون «صحيفتى» معبرة عن رأيهم وحدهم دون بقية الهيئات أو الأندية الأخرى . . ! !

يعنى مثلا : طلب منى أعضاء جمعية دينية فى «مدينة نيوجيرسى» أن تكون صحيفتى دينية ولا تنشر شيئاً غير ذلك ورفضت قائلا لهم : إن الصحيفة تحمل اسم «الشرق الأوسط» وهى سياسية واجتماعية وهدفها خدمة جميع الجاليات . . والدفاع عن قضايا بلادنا إلى جانب بحث مشاكل المهاجرين ولكن لا مانع لدى من نشر أحاديث أو مقالات دينية . . ورفضوا . .

وطلب منى فريق آخر من المصريين أن أهاجم طائفة أخرى . . أو أقوم بالرد على الهجوم الذى يوجه من هذه الطائفة – فى النشرات التى تصدرها – على بعض الاتجاهات الدينية . . ورفضت أيضاً وقلت لهم : إننى مصرى أولا وأخيراً ولا أريد أن أدخل فى صراعات بين الهيئات أو الطوائف المختلفة . . . كانت كل طائفة . . أو ناد أو هيئة يريد أعضاؤها أن أكون لهم وحدهم دون سواهم ، وإلا فإنهم لن يشتركوا فى صحيفتى . .

شىء غريب جدا أن تكون هذه روح أعضاء الجاليات العربية المختلفة الموجودة

فى نيويورك أو فى نيوجيرسى . . لم أجد تعاوناً مخلصاً من كل هذه الهيئات المتصارعة . . ولم أجد أيضاً غير أن أعتمد على نفسى وأقدم فى صحيفتى من المواد التحريرية ما يجبر كل هؤلاء على شرائها . .

المواد التحريرية بالصحيفة . .

ربما يسألني قارئ هذا الكتاب عن المواد التحريرية أو الموضوعات أو المقالات التي كنت أنشرها في صحيفتي . . والجواب هو :

كنت أعرف أنه لا تصل إلى مدينة نيويورك . . أو مدينة نيوجيرسي . . أو أي ولاية أمريكية صحيفة من الصحف المصرية إلا صحيفة « الأهرام » التي تصدر يوم الجمعة . . وصحيفة « أخبار اليوم » التي تصدر يوم السبت فقط . . أما بقية الصحف التي تصدر في مصر بقية أيام الأسبوع فإنها لا تصل أبداً . . ولذلك ركزت كل اهتمامي للحصول على الصحف المصرية التي تصدر في وسط الأسبوع والتي لا تصل إلى أمريكا . وأنقل منها بعض الأخبار التي تتعلق بالمهاجرين . . أو تتصل بحياتهم . . أو تتناول الحياة والمشاكل والأحداث . . والحوادث المثيرة والقضايا الهامة . ثم أقوم بإعادة صياغتها من جديد وأنشرها في صحيفتي . .

هذا إلى جانب أننى كنت أذهب كل يوم إلى مَبنى الأمم المتحدة لمتابعة آخر تطورات الموقف وأحصل من بعض السفراء العرب على الأخبار التى تهم الجاليات الموجودة فى أمريكا . . بالإضافة أيضاً إلى أننى كنت أنشر كل أسبوع مقالا دينيًّا لرئيس المركز الإسلامى فى نيويورك . أو واشنطن ثم مقالا آخر لرجل دين مسيحى من المصريين الموجودين فى أمريكا .

أعتقد أنه من الواجب أن أسجل هنا موقفاً جميلا وعظيماً جعل كل المصريين الموجودين فى نيويورك . . ونيوجيرسى . وبقية الولايات الأخرى ينسون الخلافات والصراعات التى كانت بينهم ويمشون فى الشوارع والطرقات وأيديهم متشابكة ويحتضن كل منهم الآخر ويقبله . . هذا الموقف ظهر يوم توقفت كل محطات الإذاعات والتليفزيون فى أمريكا وقطعت برامجها لتعلن « نبأ » اقتحام القوات المصرية لقناة السويس . وتحطيمها خط بارليف . وتقدمها فى صحراء سيناء . .

لقد اتصل بى كل الذين كانوا يختلفون معى فى الرأى . . أو الاتجاه وقد نسوا جميعا كل الخلافات التى كانت بينهم . . كان كل اهتمامهم هو مصر . . وانتصار جيش مصر . . ورأسهم التى ارتفعت بين كل شعوب العالم التى تعيش فى أمريكا . . وعودة القوة إلى « الإنسان المصرى » . . ونظرة الاستعلاء التى كانوا ينظرون بها إلى كل الناس نتيجة الانتصار بعد الذل والهوان الذى كانوا يعيشون فيه والذى كان السبب فى كل الخلافات بينهم . .

وبعد سنوات قليلة من الحياة فى أمريكا وحصولى على الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة الأمريكية بعد سنوات طويلة قضيتها كلها فى تعب . . وإرهاق . . وقلق . . وبكاء . . ورعب وخوف . . جلست أفكر وأسأل نفسى :

هل من المعقول أن أستمر فى إصدار صحيفة أحررها كلها بمفردى . . وأقوم

بتوزيعها وجمع الإعلانات وتحصيل ثمنها . ثم حضور المؤتمرات الصحفية اليومية بمقر الأمم المتحدة . . والذهاب إلى السفارات العربية المنتشرة فى أحياء مدينة نيويورك والاجتماع بالناس من مختلف الأوساط والطبقات . . بالإضافة إلى مشاغلى الأخرى التى تتعلق بحياتى الشخصية . .

وكانت الإجابة : لا . . . لا أستطيع أبداً أن أستمر فى هذه الدوامة المستمرة من العمل ليل نهار دون راحة أو نوم بمفردى . . وتجمعت مشاعرى كلها لتنطلق مثل الصاروخ لتستقر فى كل كيانى ووجدانى وتنطلق فى صرخة قوية ومدوية لا شىء غير العودة إلى حبيبتى . . إلى أمى . . إلى العظيمة التى هجرتها . . إلى التى احتضنتنى وأنا صغير . . وتولت رعايتى وأنا شاب . . وبكيت سنوات لفراقها . . وأشعر الآن أننى لا أستطيع الحياة بعيداً عنها . . . إنها عقلى . . وفكرى . . وكيانى . . ووجدانى . . وقلبى الذى ينبض بالحياة . . إنها مصر . . !

رقم الإيداع	١٩٧٩/٣٤٠٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩ - ٧٧٦ - ٢٤٧ - ٩٧٧

١/٧٨/٣٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

٢٠